دُرُوسٌ مُخْتَصَرَةٌ فِي بَيَانِ

فَضْلِ دِينِ الإِسْلَامِ

وَمَكَانَتِهِ وَمَعَالِمِهِ وَوُجُوبِ التَّمَسُّكِ بِهِ

د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

@BaynootnanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي أنزل القرآن، وبعث محمدًا بدين الإسلام، وأظهره على جميع الأديان، والصلاة والسلام على محمد عبد الله ورسوله، المبعوث بدين الرحمة والسلام على جميع بني الإنسان، فاللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فدينُ الإسلام فضله عظيم، وقد ختم الله به جميع الأديان، وأظهره على جميعها بالحجة والبيان، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[التوبة:٣٣]، وقال رَسُول اللهِ ﷺ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ»(١).

وهو دين مشتمل على الرّحمة، والاعتدال، واليُسْر، والخير في جميع شؤونه وتشريعاته، راعى بشموله جميع الأفراد والمجتمعات، وأوجب الله على كلِّ مسلم الدّخول فيه كلّه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾[البقرة:٢٠٨]، إلا أنَّه لـمَّا انفتحت المجتمعات الإسلاميَّة بغيرها، وبُعد بعضها عن تعلُّم تعاليم دينها، دخلت على بعض المجتمعات الإسلاميَّة بعض الثقافات الغربيَّة التي تخالف التَّعاليم الإسلاميَّة السمحة، إما في عقائدها أو عباداتها أو أخلاقها أو تعاملاتها، والأمَرُّ من هذا أنَّه قد تبنَّى الدَّعوة لبعض هذه الأفكار الدَّخيلة بعض أبناء الإسلام، والأخطرُ من ذلك أن البعض روَّج الأفكار الغربيَّة الدَّخيلة بغطاء إسلاميٍّ، ممّا زاد في تغيُّر الهويَّة الإسلاميَّة في بعض المجتمعات.

فكان من الواجب على من عرف الإسلام الحقَّ أن يبيِّن ما فيه من رحمةٍ وشمولٍ، وسماحةٍ وعدل، وخيرٍ ويُسر، لا سيَّما وقد ظهر من يشوِّه صورته من المتطرِّفين والمتشدِّدين والتّكفيريين الّذين ينشرون الفساد والإجرام في ثوب الإسلام -والإسلام بريء منهم-، ممّا ساعد على انتشار الأفكار الغربيَّة عبر مثقفين إسلاميين متأثِّرين بثقافة غربيَّةٍ مزخرفة، مخالفةٍ للنصوص الربانيّة، والأدلة الشرعية، والسماحة الإسلاميّة، أرادوا -بزعمهم- محاربة الأفكار المتشدِّدة بمبادئ تنويريّة مزيّفة، بحجّة تشويهها للإسلام، فحاربوا كلَّ ما يخالف فكرهم الغربيّ، وإن كان من الإسلام السمح الصافي.

فمن أجل ذلك كتبتُ هذه الدروس في مفهوم الإسلام، وفضلِه، ووجوب التّمسك به، وأهمِّ معالمه التي تبيِّن مكانته، وصفاءه، واعتداله، في واحد وثلاثين درسًا مختصرًا سهلًا، مدعّمًا بالأدلة وأقوال الأئمة، راجيًا من الله أن تكون دروسًا موضّحة للإسلام الصافي، نافعة لمجتمعي ووطني، وجميع العالم الإسلامي.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٦٩٥٧).

د. أحمد بن مبارك بن نزال المزروعي

@Baynoonanet
www.baynoona.net

دروس مختصرة في بيان فضل الإسلام ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

الدرسُ الأول: فضلُ الإسلامِ

دينُ الإسلام دينٌ عظيم، وفضلُه على سائر الأديان كبير، تتوقّف على الدخول فيه سعادةُ العِباد أجمعين، ولا دخول في الآخرة في جنّات النَّعيم إلا عن طريق التمسك بصراطه المستقيم؛ لهذا أمر الله عباده أن يطلبوا الهداية إلى سبيله في كلّ ركعة من صلاتهم فقال: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:٦]، وهو طريق الإسلام القويم.(١)

فمن أراد الله هدايتَه، شرح صدرَه لتقبّل الإسلام والعمل به، كما قال الله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

وقد بيَّن رسول الله ﷺ فضل دين الإسلام على سائر الأديان، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ. فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ. ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتْ النَّصَارَى. ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ. فَأَنْتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ: هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ» (٢).

وأوضح رسول الله ﷺ ما اصطفى الله به أهل الإسلام على غيرهم في الدنيا والآخرة، فعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلائِقِ» (٣).

وصرّح النبي ﷺ بأنّ الإسلامَ أحبُّ الأديان إلى الرحمن، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ» (٤)، وهذه السَّماحة واليُسر لم تكن في أديان أهل الكتاب قبلنا، كما قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الأعراف:١٥٧]، فما رُفعت الأثقال والمشَّقة إلا في شريعتنا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾ [الحج:٧٨].

قال محمد الأمين الشنقيطي المالكي: وقد بيَّن تعالى في هذه الآية الكريمة: أنَّ هذه الحنيفيَّة السمحة التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ، مبنيَّة على التَّخفيف والتَّيسير، لا على الضِّيق والحرج. وقد رفع الله فيها الآصار والأغلال التي كانت على من قبلنا (٥).

فهذا فضل دين الإسلام: به الهداية، وانشراح الصدر، وسعادة القلب، ومضاعفة الأجر، وهو أحبُّ الأديان إلى الله وأفضلُها، فلا تعدل به دينًا سواه.

وشريعةُ الإسلامِ أفضلُ شرعةٍ ... دينُ النبيِّ الصَّادقِ العدنانِ (٦).

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١/٢٢٦-٢٢٧).
(٢) رواه البخاري (٢٢٦٨).
(٣) رواه مسلم (٨٥٦).
(٤) رواه البخاري معلقًا في كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر (ص٩).
(٥) أضواء البيان (٥/٨١٦).
(٦) نونية القحطاني (٣٤).

د. أحمد بن مبارك بن نزال الزروعي

@Baynoonanet
www.baynoona.net
دروس مختصرة في بيان فضل الإسلام ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

الدرس الثاني: الإسلامُ دين تمكين وعزَّة

دين الإسلام دينُ عزَّةٍ وتمكينٍ، وأمنٍ وقوةٍ، وألفةٍ واجتماعٍ، وقد كان الناس في غيره من الأديان في تفرق وشتات، وكانت العرب قبله في ذلّة وصَغار، وجاهلية عمياء.

فالله ألقى الرُّعب في قلوب الَّذين كفروا، وأذلَّهم، كما قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١].

وأخبر الله -تعالى- عن حال يهود بني النَّضر وما حلَّ عليهم من الهوان فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢].

ثم أخبر -تعالى- عن خوفهم وتشتتهم وضعفهم فقال: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:١٦].

وأخبر تعالى عن عداوة اليهود والنَّصارى لبعضهم البعض، وانتشار البغضاء فيما بينهم، فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال في النَّصارى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

وقد أخبر النَّبيُّ ﷺ عن ذُلِّ من خالف أمره وصغاره، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[١].

وأمَّا أهلُ الإسلام فوعدهم الله بالعزَّة والتَّمكين، والاستخلاف، والاجتماع والقوة، إذا تمسكوا بدينهم، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[النور:٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

وبيّن النبيّ ﷺ أن أهل الإسلام متماسكين كالبنيان، بسبب ما عندهم من إيمان، فعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ صَابِعَهُ»[٢].

فتأملْ حال الأمم بلا إسلام كيف كانت في جاهلية وشر، وتفرُّق وشتات، وعداوة وبغضاء، وانظر إلى حال العرب قبل الإسلام كيف أصابهم الذُّلُّ والهوان حتى لم تكن لهم قيمة بين الأنام، فلمَّا أرسل الله -تعالى- سيد الأنام ﷺ ودخل منهم من دخل في الإسلام من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، رفع الله ذكرهم، ومكَّن لهم في الأرض، وجمع كلمتهم، وألقى المهابة في قلوب عدوهم، فلا عزَّة لنا ولا تمكين، ولا قوة لنا ولا ترابط إلا بالتَّمسك بدين الإسلام، وقد صدق الفاروق عمر رضي الله عنه حين قال: «إنَّا قوم أعزَّنا الله بالإسلام، فلن نبتغي العزَّ بغيره»[٣].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥١١٥)

(٢) رواه البخاري (٤٨١)

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٨٤٧)

د. أحمد بن مبارك بن نزال المزروعي

@Baynoonanet
www.baynoona.net
دروس مختصرة في بيان فضل الإسلام ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

الدرس الثالث: وجوب الدخول في دين الإسلام

دينُ الإسلام آخِرُ الأديان، قد ختم الله به جميع الأديان السابقة، ونسخها به، وأوجب الله على هذه الأمّة عامّة أن تدخل فيه كافّة، وبيّن الله في كتابه أنّه لا يقبل ديناً سوى دين الإسلام الذي بعث به محمدًا ﷺ، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة:٢٠٨]، قال ابن عباس: «نزلت الآية في أهل الكتاب» والمعنى: يا أيها الّذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا في الإسلام بمحمد ﷺ كافّة(١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

وبيّن الله -تعالى- أنّ الإسلام الذي يجب الدخول فيه هو ما كان على شريعة خير الأنام محمد ﷺ فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وقد بشّر عيسى عليه السلام بني إسرائيل بمحمد ﷺ ليؤمنوا به ويتّبعوه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف:٦].

ولهذا أكد النّبيُّ ﷺ على وجوب الإيمان به من كل من سمع به على اختلاف دينه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(٢).

وكذلك بيّن أن أيَّ عمل دينيٍّ لا يُقبل إلا إذا كان على طريقته ﷺ فعن عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٣).

لهذا أوصى أهل العلم عند تعلّم الإسلام بالتّمسك بسنة محمد ﷺ، فكان أبو العالية رحمه الله يقول: «تَعَلَّمُوا الْإِسْلَامَ، فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُ الْإِسْلَامَ فَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُ الْقُرْآنَ فَتَعَلَّمُوا السُّنَّةَ؛ فَإِنَّ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ﷺ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُحَرِّفُوا الصِّرَاطَ يَمِينًا وَشِمَالًا»(٤).

وهذه هي وصية الله في كتابه حيث قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

إذًا دين الإسلام الذي بُعث به محمد ﷺ وهو الدّين الّذي يجب على كلِّ عبد أن يعتنقه، ولا يرغب عنه ولا عن تعاليمه وتشريعاته إلى ما سواه من الأديان.

قال القاضي أحمد بن عبد العزيز آل مبارك المالكي: «هذا هو دين الإسلام الحنيف، وهذه تعاليمه الحقّة؛ فواجب على المسلمين أن يتمسكوا بها، ويقتدوا بأسلافهم فيها؛ ليعيشوا كما عاشوا حياةً كريمة، عالية، عاملة، مثمرة، نافعة»(٥)

(١) تفسير القرطبي (٣/٢٣)
(٢) رواه مسلم (٤٠٣)
(٣) رواه مسلم (١٧١٨)
(٤) ذم الكلام للهروي (رقم: ٧٥١).
(٥) خطب منبرية (١٣).

الدرس الرابع: تفسير الإسلام

الإسلامُ دينُ الاستسلام والانقياد والمتابعة[1]، ودين السَّلام والسلامة، فهو استسلام لله بالتَّوحيد، وانقياد له بالطَّاعة[2]، ومتابعة لرسول الله ﷺ في سننه، وهو دين سالم من النقص في تشريعاته، وسلام وأمن على جميع الأفراد والمجتمعات في تعاملاته.

وقد بيَّن الله -تعالى- وجوب الاستسلام له، وأمر باتباع ملَّة إبراهيم عليه السلام، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ﴾ [النساء:١٢٥].

قال أبو عبدالله القرطبي المالكي: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ﴾ فَضَّلَ دِينَ الْإِسْلَامِ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ وَ ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ مَعْنَاهُ: أَخْلَصَ دِينَهُ لِلَّهِ، وَخَضَعَ لَهُ، وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالْعِبَادَةِ»[3].

وبيَّن الله -تعالى- أنَّ الحنيفيَّة هي الميل عن الشرك، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧].

وأوضح الله -تعالى- أنَّ هذا الاستسلام هو الدِّين القيِّم، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣].

وقد شرح النَّبيُّ ﷺ أركان الإسلام، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإسلام: «الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»[4].

وبيَّن ﷺ أنَّ الإسلام دين السِّلم والسَّلام، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»[5].

فالإسلام: استسلام لله، وإخلاص له بتحقيق التوحيد، وانقياد له بالطاعة مع وجوب مجانبة الشِّرك، وهو مبنيٌّ على أركان خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج، مع وجوب الالتزام بجميع العبادات الواجبة الظاهرة والباطنة.

وهو دين سلامة للبشريَّة: منع المسلم من أذى المسلمين باللسان فلا يسبُّهم، ولا يلعنهم، ولا يغتابهم، ولا ينمُّ بينهم، ولا يسعى بينهم بأي نوع من أنواع الشَّرِّ والفساد، ومنع الأذى باليد: فلا يتعدَّى عليهم بالضَّرب، أو الجرح، أو أخذ المال، أو ما أشبه ذلك إلا ما كان بحقٍّ شرعيٍّ تحت سلطة قضائيَّة.

---

(١) الرسالة الوافية للداني (١٧٨)
(٢) ينظر شرح التلقين للمازري (١/٣٥٦)
(٣) تفسير القرطبي (٥/٣٩٩)
(٤) رواه مسلم (٨)
(٥) رواه أحمد في مسنده (٨٩٣١)

@Baynoonanet
www.baynoona.net
دروس مختصرة في بيان فضل الإسلام ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

الدرس الخامس: دين الإسلام مبنيٌّ على كلام اللّه، وسنة رسول اللّه، وفهم صحابة رسول اللّه.

دين الإسلام مبنيٌّ على دعائمَ وأصولٍ عظام: ألا وهي كتاب الله جَلَّ وَعَلَا هو الهدى والنور والصِّراط المستقيم، وسنة رسول الله ﷺ التي هي وحي من الله؛ فيها بيان كتاب الله وشرحه وتفصيله، وفهمُ صحابة رسول الله خير القرون فهمًا وعلمًا، شهدوا التنزيل، وسمعوا أقوال الرسول ﷺ، ورأوا أفعاله.

وقد بيَّن الله شمول القرآن وهدايته للخلق ورحمته لهم، فقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩].

وقد حفظ الله القرآن من التَّبديل والتَّغيير، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

وأما سنة النبيِّ ﷺ فبيَّن الله أنها وحيٌ من عنده، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣- ٤].

وبيَّن أنَّ النَّبيَّ ﷺ مبيِّن لكتابه، شارح له، موضح لمعانيه، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

وقد أبقى الله جَلَّ وَعَلَا سنَّة النَّبي ﷺ صافية نقيَّة، يجب على كل هذه الأمة اتِّباعها، حتى لو كان موسى حيًّا لاتَّبعها، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ فَقَالَ: «أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»[1].

وقد أمر الله جَلَّ وَعَلَا بالتمسك بالقرآن والسنة، وردِّ الخلاف إليهما، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، وأخبر الله أن من اتَّبع هداه فلا يضلُّ ولا يشقى، فقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ضمن الله -تعالى- لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألاَّ يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة»[2] وتلا الآية.

وأكَّد رسول الله ﷺ على هذا المعنى فقال: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»[3].

وأمَّا هديُ الصَّحابة رضي الله عنهم فقد بيَّن الله وجوب السَّير على ما كانوا عليه، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وأمر النَّبيُّ ﷺ بالتمسك بسنة الخلفاء الرَّاشدين والعضِّ عليها، فقال: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[4].

وأكَّد الصَّحابة رضي الله عنهم على ذلك، وبيَّنو ما ميّزالله به الصحابة من ميزات ليست عند غيرهم، كما قال عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًّا، فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَبَرُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقُهَا عِلْمًا، وَأَقَلُّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَتَمَسَّكُوا بِهَدْيِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ»[5].

تأمَّلْ يا عبد الله أمرَ الله وأمر رسوله ﷺ بالتمسك بهذه الأصول الثلاثة، وتمعَّن في دلالتها على بيانها لجميع الدِّين، ومنعها العباد من الضلال والشقاء، والخلاف والشقاق، وأنّه سبحانه لم يرجعنا إلى عقول مختلفة أو آراء متفرِّقة، بل إلى أصل واحد؛ حتى نكون على عقيدة معتدلة واحدة، مجتمعين على جماعة واحدة، ينجو بها البشر من جميع المحن والفتن، فكن بعد هذا لها عارفًا، وبها متمسكًا، ولها متعلمًا عاملًا.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٥١٥٦).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٥٨).
(٣) رواه مالك في الموطأ (٣٣٣٨).
(٤) رواه أحمد في مسنده (١٧١٤٤).
(٥) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (١٨١٠).

د. أحمد بن مبارك بن نزال الزروعي

@Baynoonanet
www.baynoona.net
دروس مختصرة في بيان فضل الإسلام ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

@Baynoonanet
www.baynoona.net

الدرس السادس:
الإسلام دين رحمة

إنَّ دين الإسلام، دين رحمة للعباد وعلى البلاد؛ فهو من عند أرحم الراحمين، بيَّن أحكامَه القرآنُ الذي هو رحمة للمؤمنين، والذي بلَّغه ونشره هو نبيُّنا ﷺ الذي هو رحمة للخلق أجمعين.

وقد أوضح الله رحمته في كتابه حتى كررها كلُّ مسلم في كلِّ صلاة يصليها، كما قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١-٣].

وبيَّن الله -تعالى- أنه كتب الرحمة على نفسه فقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤].

وبيَّن أنَّه أنزل كتابه رحمة للمؤمنين فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢]، وأنه أرسل رسوله رحمة للعالمين، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

بل إنَّ النَّبيَّ ﷺ أخبرنا أن رحمة الله سبقت غضبه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ: (غَلَبَتْ -أَوْ قَالَ: سَبَقَتْ- رَحْمَتِي غَضَبِي) فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»[1]، فما أعظم رحمة الله على عباده في الدنيا، وهي يوم القيامة أعظم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

وأخبر ﷺ أنه رحمة مهداة من عند أرحم الراحمين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»[3].

ولمَّا كان الإسلام رحمة كان من اتَّصف بالرحمة من المرحومين، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ، يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[4].

فهذا الإسلام -يا أهل الإسلام- دين رحمة في جميع تشريعاته: فأوامره ونواهيه رحمة، وأحكامه وعقوباته رحمة، ومعاملاته -سواء مع المسلمين أو مع غير المسلمين- رحمة، بل حتى مع الحيوانات أمرنا بالتعامل معها برحمة؛ وما ذلك إلا لأنَّ الإسلام من لدُن حكيم رحيم، فمن تمسَّك به رحمه الله، وأسكنه جنته ورحمته، ومن تعامل بمقتضاه كان رحيمًا ناشرًا للرحمة، فديننا دين رحمة وتراحم، لا دين عنف وتقاتل وإجرام.

---

(١) رواه البخاري (٧٥٥٣)، ومسلم(٢٧٥١).
(٢) رواه مسلم (٢٧٥٢).
(٣) رواه الدارمي في سننه(١٥)، صححه الألباني في الصحيحة(٤٩٠).
(٤) رواه أبوداود(٤٩٤١).

@Baynoonanet
www.baynoona.net

الدرس السابع:
الإسلام دين الوسطيَّة والاعتدال.

إنَّ الدِّين الإسلامي دين وسطيَّة واعتدال في جميع أحكامه وتشريعاته؛ فهو وسط في باب العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملة، لا غلوَّ فيه ولا جفاء، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

وقد وصف الله -تعالى- شريعة محمد ﷺ بأنها بعيدة عن المشقة والحرج، فقال: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف:١٥٧]، قال ابن العربي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإصر: هو الثِّقل، وكان فيما سبق من الشرائع تكاليف كثيرة فيها مشاق عظيمة، فخفف تلك المشاق لمحمد ﷺ» (١).

وجاءت السنة النبوية بالأمر بسلوك الصِّراط المستقيم الذي هو طريق الوسطيَّة، محذرةً من الغلوِّ والتَّفريط، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: « خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ -قَالَ يَزِيدُ مُتَفَرِّقَةٌ- عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٥٣]».

بل وجاء تحذير رسول الله ﷺ صراحة من الغلو، فقال: « وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ: فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ » (٢).

وبيَّن ﷺ أنَّ الدِّين أصله يسر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ » (٣).

فدين الإسلام دين توسط واعتدال، بعيد عن الغلوِّ في جميع أحكامه، وكذلك هو بعيد عن التَّساهل الذي يفضي إلى نقض أحكامه، فهو في باب العقائد وسط بين الغلو والجفاء، وفي باب العبادات وسط بين التشدد والتساهل، وفي باب الأخلاق وسط بين التنطُّع والتسيُّب، وفي باب المعاملات وسط بين الإفراط والتفريط، فعلى المسلم أن يحذر على نفسه طريقة المتشددين وأن يجتنب الوقوع في طريقة المتساهلين، وعليه فليكن على شرع الله جَلَّ وَعَلَا على صراط مستقيم، متمسكًا بما يحبُّه الله من الحنيفيَّة السمحة، كما قال رسول الله ﷺ: « أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ » (٤).

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٢٧).
(٢) رواه ابن ماجه (٣٠٢٩).
(٣) رواه البخاري (٣٩).
(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٧٣٥١).

@Baynoonanet
www.baynoona.net

الدرس الثامن: الإسلام يدعو إلى عمارة الأرض من غير تكالب على الدنيا.

لم يدعُ الإسلام إلى العقائد والعبادات والأخلاق بوسطية واعتدال فحسب، بل دعا إلى عمارة الأرض وزراعتها وتنميتها موازنًا بين الدين والدنيا، قال تعالى في قوم ثمود: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[هود:٦١] أَيْ: جعلكم عمَّارًا تعمرونها وتستغلونها [١].

وجاء عن رسول الله ﷺ المبالغة في ذلك فقال: «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا» [٢].

فانظر كيف بالغ النبي ﷺ في الحثِّ على غرس الأشجار وحفر الأنهار؛ لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعدود المعلوم عند خالقها؛ فكما غَرس لك غيرك فانتفعت به، فاغرسْ لمن يجيء بعدك لينتفع، وإن لم يبق من الدنيا إلا صبابة [٣].

وهذه العمارة تتطلب العلم بما يعمرها؛ ولهذا جعل الإسلام من فروض الكفايات تعلُّم العلوم التي يحتاجها المسلمون: كالطب، والهندسة، والصناعات القتالية والبنائية وغيرها؛ حتى يقوى الإسلام وأهله اقتصاديًا وعمرانيًا وعسكريًا [٤].

وقد حث علماؤنا على غير العلوم الشرعية كما قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا أعلم علمًا بعد الحلال والحرام أنبل من الطب، إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه» [٥].

ومن رجع إلى ما قبل بعثة النبي ﷺ ونظر في تاريخ العرب وجدهم على تدهور اقتصاديٍّ وعمرانيٍّ وعسكريٍّ كبير، فلمَّا بعث الله نبيه ﷺ وهاجر إلى المدينة، ودخل الناس في الإسلام وتمسكوا به عمرت الأرض وأنارت الدنيا علمًا وعملًا وصناعة وحضارة.

وعلى هذا فَسِرُّ التطور الحضاري والازدهار الدنيوي هو السيادة في الحقِّ بالحقِّ، والسير بعلم وعمل، فعمران الأرض متوقف على عمران القلب، وبنيان الدولة متوقف على السيادة الإسلامية الحقَّة، فأسلافنا قاموا بما شرط عليهم القرآن في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١]، فحقَّق الله وعده لهم في قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥].

ومع أن الإسلام رغَّب في عمارة الأرض إلا أنَّه حذر من التَّكالب على الدنيا بما يؤدِّي إلى الاغترار بها والتقاتل عليها والتدابر من أجلها، فقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠].

وجاء السنة ببيان ذلك فقال ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» [٦]

وقد حذر رَسُولُ اللَّهِ ﷺ من جعل الدنيا هي الهمّ والغاية فقال: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ» [٧].

وقد كان سلفنا الصالح يوازنون بين الدين والدنيا؛ حتى قال عمر بن قيس: «كَانَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ مِائَةُ غُلَامٍ، يَتَكَلَّمُ كُلُّ غُلَامٍ مِنْهُمْ بِلُغَةٍ أُخْرَى، فَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يُكَلِّمُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِلُغَتِهِ، فَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ قُلْتُ: هَذَا رَجُلٌ لَمْ يُرِدِ اللهَ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ آخِرَتِهِ قُلْتُ: هَذَا رَجُلٌ لَمْ يُرِدِ الدُّنْيَا طَرْفَةَ عَيْنٍ» [٨].

فتأمَّلْ كيف وازن الإسلام بين الدين والدنيا وبين المادَّة والروح، وكيف توسط في عمارة الأرض: فلم يزهد فيها حتى تفسد وتخرب، ولم يعلِّق الناس بها؛ حتى لا تمرض القلوب، ولا يتقاتل الشعوب على هذا الحطام الفاني.

---

(١) تفسير ابن كثير(٤/٣٣١).
(٢) رواه أحمد في مسنده (١٢٩٠٢).
(٣) ينظر: فيض القدير (٣/٣٠).
(٤) ينظر: أدب الدين والدنيا للماوردي(٣٣٥)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩/١٩٤).
(٥) سير أعلام النبلاء (١٠/٥٧).
(٦) رواه مسلم (٢٧٤٢).
(٧) رواه ابن ماجه (٤١٠٥).
(٨) حلية الأولياء(١/٣٣٤).

د. أحمد بن مبارك بن نزال الزروعي

دروس مختصرة في بيان فضل الإسلام ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

الدرس التاسع:
دين الإسلام دينٌ كاملٌ صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ

دين الإسلام آخر الأديان، كمَّله الله -جل وعلا- وحماه من الزيادة والنقصان، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

وهو دين شامل لجميع جوانب الحياة، بيَّن ما يحتاجه الإنسان في جميع مراحل حياته من كونه جنينًا في بطن أُمِّه، ثم رضيعًا، ثم حضينًا، ثم شابًّا وكهلًا، بل حتى بعد مماته، اعتنى بجميع جوانب الإنسان الروحية، والعقدية، والعلميَّة، والأخلاقيَّة، والمالية، والجسديَّة، والأسريَّة، والاجتماعيَّة، والوطنيَّة، فصدق ربِّي حين قال: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، ومع بيانه لكلِّ شيء فهو يهدي لأقوم سبيل في كل شيء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، وهدايته لأقوم سبيل تكون لكلِّ أحد عمل بما فيه، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]، فكانت هدايته بينة واضحة في الكتاب وعلى لسان رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤]؛ ولهذا أرسل الله رسوله به هاديًا ومبشرًا لكل خير، ونذيرًا من كل شرٍّ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٧].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: « تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ، إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا. قَالَ: فَقَالَ ﷺ: مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ »(١).

وقد سئل أصحاب رسول الله ﷺ عن بيان رسول الله، فأفصحوا ببيانه لكل ما يحتاجونه، فقد قيل لسَلْمَان الفارسي: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شيء حَتَّى الْخِرَاءَةَ(٢)؟ فَقَالَ: « أَجَلْ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ ». (٣)

فالله الله بالسَّير على تعاليم دين الإسلام؛ فـ: « إنَّ دين الإسلام خير مناهج الحياة الفرديَّة والاجتماعيَّة والدوليَّة، وخير ما يورث المحبَّة والألفة بين الأمم، وبين الحاكمين والمحكومين في كلِّ أمَّة؛ فعلينا أن نشيد به في خطبنا ودراساتنا ومعاهدنا ونوادينا ومجتمعاتنا، وأن نعمل بها في معاملاتنا حتى يعلم العالم كلُّه أنَّ أمَّة الإسلام لا تزال أمَّة حيَّة عاملة بدينها، مقيمة لتعاليمه الحقَّة، حريصة على نشرها وإذاعتها، وفي ذلك بلاغ للناس، وأداء لحقِّ الله -تعالى- وحقِّ الإسلام ».(٤)

---

(١) معجم الطبراني الكبير (١٦٤٧).
(٢) أي: أدب التخلي والقعود عند الحاجة.
(٣) رواه مسلم (٢٦٢)
(٤) خطب منيرية للقاضي أحمد آل مبارك مستشار القائد الراحل الشيخ زايد آل نهيان -رحمهما الله.

الدرس العاشر:
مكانة العقل في الإسلام.

إنَّ من أفضل مواهب الله لعباده العقل؛ فهو عمود السعادة، يؤنس الغربة، وينفي الفاقة، ولا مال أفضل منه، ولا يتمُّ دين أحد حتى يتمَّ عقله، وهو دواء القلوب، ومطية المجتهدين، وبذر حراثة الآخرة، وتاج المؤمن في الدنيا، وعدته في وقوع النوائب ولقد أحسن الذي يقول:

وأفضل قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيء يقاربه[1].

وقد أنزل الله القرآن عربيًّا ليُعقَل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف:٢]، وجعل العقل محور التَّفكير فقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [النحل:١٢] وإنما يتفكر ويعتبر في خلق الله أهل العقول، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران:١٩٠]، وكم قد أثنى الله على أهل العقول وبيَّن أنهم هم الذين ينتفعون بالذكر ويعتبرون به فقال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [الرعد:١٩].

وجعل الإسلام مناط التكليف العقل، فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ»[2]، ولما كان العقل بهذه المنزلة في الإسلام فقد منع الإسلام من كل ما يضرُّه من المسكرات، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة:٩٠]، أو من الأفكار المتطرِّفة، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ ﴾ [الأنعام:٦٨]، وحثَّ على كل ما ينفعه ويغذِّيه من العلم والحكم فقال ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[3]، قال أبو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالواجبُ على العاقلِ أن يكونَ بما أحيا عقله من الحكمة أكلف منه بما أحيا جسده من القوت»[4].

فالعقل السَّليم هو الذي يدعو إلى مكارم الأخلاق ومعاليها، وينهى عن مساوئ الأخلاق وسفسافها، وهو الذي يحجز العبد عن الشر، ويدله على الخير، قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَيْسَ الْعَاقِلُ الَّذِي يَعْرِفُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، إِنَّمَا الْعَاقِلُ الَّذِي إِذَا رَأَى الْخَيْرَ اتَّبَعَهُ وَإِذَا رَأَى الشَّرَّ اجْتَنَبَهُ»[5]، ولن تكمل معرفة العقل للخير والشر إلا عن طريق الشرع الذي بينَّ الخير والشر جملة وتفصيلًا؛ ولهذا ذمَّ الله الذين لا يعقلون فقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [الأنفال:٢٢]، فمن لا يعمل بالشرع وقع فيما ينافي العقل، ولهذا نفى الله العقل عمَّن عرف ربوبية الله ولم يوحده فقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٣]، ونفى الله العقلَ عمن اتخذ الصلاة هزوًا فقال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾ [المائدة:٥٨]، فالعقول التي لا تتبَّع الشرع لا شك في وقوعها في الشرِّ قال تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [يونس:١٠٠]، قال أبو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا عقلَ لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه، فكما أنَّ أشدَّ الزَّمانة الجهل، كذلك أشدَّ الفاقة عدم العقل»[6].

(١) روضة العقلاء (٤٦-٤٩).
(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٤٦٩٤).
(٣) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).
(٤) روضة العقلاء (٤٨).
(٥) حلية الأولياء (٨/٣٣٩).
(٦) روضة العقلاء (٤٩).

@Baynoonanet
www.baynoona.net
دروس مختصرة في بيان فضائل الإسلام ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

الدرس الحادي عشر: عناية الإسلام بالأسرة.

الأسرة هي النَّواة التي تتكون من مجموعها المجتمعات البشرية، فصلاح هذه النَّواة صلاح للمجتمع، ولا صلاح لمجتمع إذا كانت أُسرهُ مفكَّكةَ العرى واهية الأركان، ولهذا قد اعتنى الإسلام بالأسرة من أب وأمٍّ وبنات وبنين اعتناء بالغًا، فاق كلَّ الديانات والأعراف والعادات، حتى أصبحت الأسرة في الإسلام لبنة قوية في بناء المجتمع وتماسكه وترابطه.

فراعى الإسلام كل فرد من أفراد الأسرة وأعطاه حقه واعتنى به، ووجَّه الإسلام خطابه لجميع أفراد الأسرة؛ ليقوم كلُّ فرد بدوره في تكوين الأسرة التكوين الصحيح النافع، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم:٦].

وجعل كل فرد في موقعه الأسري مسؤولًا وراعيًا فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ -قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ- وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[(١)].

ومع تعليق الإسلام المسؤولية بكل فردٍّ من أفراد الأسرة، فقد ضمن لكل فرد ما له من حقٍّ، فصان الإسلام حقوق كل فرد من الأسرة وحماها.

ومن الأحاديث التي تبين لنا عناية الإسلام الشاملة بالأسرة ما جاء عن عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً فَقَالَ لَهَا: «مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ: نَمْ، فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَانُ»[(٢)].

يقول القاضي أحمد بن عبد العزيز المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الأسرة هي المجتمع الصغير المكون من الوالدين والأبناء، وهي اللبنة التي تنضمّ إلى غيرها من اللبنات فتكون صرح المجتمع الإنساني طالما كان في الدنيا ذكر وأنثى يتزاوجان، والأسرة بهذا المفهوم هي مصنع إنتاج الذُّريَّة التي تعمر الأرض، وإنَّ قيام الأسرة بوظيفتها ضرورة لازمة لبقاء الجنس البشري ودوام وجوده»[(٣)].

وسيتضح -بإذن الله- من الدروس القادمة اعتناء الإسلام بكل فرد من أفراد الأسرة من أب، وأمٍّ، وزوجين، وبنات، وبنين، وحتى الخدم، وبيان ما له من حقٍّ على وجه الخصوص.

(١) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).
(٢) رواه البخاري (١٩٦٨).
(٣) الفتاوى الفقهية (١٤٧).

@Baynoonanet
www.baynoona.net
دروس مختصرة في بيان فضل الإسلام ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

الدرس الثاني عشر: عناية الإسلام بالزوجين.

إنَّ الأسرة لبنة أساسُها الزوجان، بتماسكهما تماسك البنيان، وبصلاحهما صلاح الذريَّة وسكينة البيت وطمأنينة الأسرة ، فهما ربَّانا سفينة الأسرة، بهما سلامة السفينة أو غرقها؛ ولهذا اعتنى الإسلام بهما غاية الاعتناء: فحرص أولاً على موافقة المرأة على الرجل الصالح الخلوق، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»[1]، وحثَّ الرجل على اختيار ذات الدِّين فقال ﷺ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُنْكَحُ عَلَى دِينِهَا وَمَالِهَا وَجَمَالِهَا فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»[2]، فأشار النبي ﷺ إلى أمرين مهمَّين: الدين، والخلق؛ لأن صاحب الخلق أحرى بحسن العشرة، وصاحب الدِّين أحرص على أداء الحقوق، وبالدين والخلق يُنتج الحبُّ والرحمة، اللَّذان هما أصل الحياة الزوجية، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١]، فالحياة الزوجية متى بُنيت على الحبِّ والرَّحمة بين الزوجين كانت حياة سعيدة مطمئنة، مثمرة للتماسك والقوة واستقرار الأسرة.

وترسيخًا للحبِّ والرحمة بين الزوجين أمر الإسلام كلًّا منهما بأداء حقِّ الآخر بأجمل عبارة وأسهلها، فقال تعالى موصياً الأزواج : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء:١٩]، وبيَّن أنَّ للزوج ما للزوجة من المعروف فقال: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ [البقرة:٢٢٨]، والمعروف: طيب الأقوال وحسن الأفعال بين الزوجين، ومن جميل العشرة بالمعروف: أن يتحلَّ الزوجان: بالصبر، والحلم، والعذر، والتغافل وغضِّ الطرف، مع النصح برفق، والتعليم بلا عنف، وأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه إلى الخير وسعادة الأسرة.

ولما كان هذا المعروف من الخير جعل الإسلام خير الرجال خيرهم لأهله، فقال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وأنا خَيْرُكُم لأَهْلي»[3].

وعلَّق الإسلام القوامة على المرأة بالرجل حتى تنضبط أمور الأسرة، ويستقيم حالها فقال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤].

وفي المقابل أمر الإسلام الزوجة بطاعة الزوج بالمعروف، وجعله سببًا من أسباب دخولها الجنة، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ»[4].

هذا فيض من غيض من سنن وتعاليم الإسلام التي تنظِّم العلاقة الزوجية من حقوق وآداب، وقد بيَّن الإسلام كثيرًا من الأحكام كأحكام المهر، والزواج، والطلاق، والخلع والعدة، والعضل، والنشوز، والتحكيم وغيرها، مما لا تجد نظامًا اعتنى بالزوجين العناية الكبيرة، ولا قانونًا سطر مثل هذه الأصول العظيمة، فعلى الزوجين أن يتعلَّما ما لهما وعليهما من حقوق، وأن يعملا بما جاء في القرآن والسنة؛ حتى يسعدا في حياتهما، ويُسعدا من تحت رعايتهما.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٩٦٧)

(٢) رواه مسلم (٧١٥).

(٣) رواه الترمذي (٣٨٩٥).

(٤) رواه أحمد (١٦٦١).

@Baynoonanet
www.baynoona.net
دروس مختصرة في بيان فضل الإسلام ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

الدرس الثالث عشر: عناية الإسلام بالأبناء.

إن الأبناء هم فلذات الأكباد، والغرس الذي يَجني ثمره الزوجان، والجيل الصاعد الذي ينتظر عطاءه المجتمع، وقد أولى الإسلام عنايته بهم، منذ بدء وجودهم في الحياة قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة:٢٣٣]، وفي يوم سابعه قال ﷺ: « كُلُّ غُلَامٍ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ، تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَيُمَاطُ عَنْهُ الْأَذَى وَيُسَمَّى »[١].

فإذا كبر عُلِّم ما يحتاجه من أمر دينه وخصوصًا الإيمان، كما قال جندب البجلي رضي الله عنه: « كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ -الصبي يقارب البلوغ- ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إيمانًا »[٢]، وأمر وليَّ الأبناء بأمرهم بالصلاة، كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ »[٣]، وحث على حفظهم القرآن، فعن عبد الله بن عيسى رَحِمَهُ الله قال: « لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا تَعَلَّمَ وِلْدَانُهَا الْقُرْآنَ »[٤].

وكذلك أهتم الإسلام بجانب أخلاقهم وما يحتاجونه في معاشهم قال ابن القيم رَحِمَهُ الله: « فَإِذا رَآهُ -أي رأى الأب الابن- حسن الْفَهم صَحِيح الْإِدْرَاك جيد الْحِفْظ واعيًا؛ فَهَذِهِ من عَلَامَات قبُوله وتهيئه للْعلم؛ لينقشه فِي لوح قلبه مَا دَامَ خَالِيًا، فَإِنَّهُ يتَمَكَّن فِيهِ ويستقر ويزكو مَعَه، وَإِن رَآهُ بِخِلَاف ذَلِك من كل وَجه وَهُوَ مستعد للفروسية وأسبابها من الرّكُوب وَالرَّمْي واللعب بِالرُّمْحِ وَأَنه لَا نفاذ لَهُ فِي الْعلم وَلم يخلق لَهُ، مكنه من أَسبَاب الفروسية والتمرن عَلَيْهَا فَإِنَّهُ أَنْفَع لَهُ وللمسلمين، وَإِن رَآهُ بِخِلَاف ذَلِك وَأَنه لم يخلق لذَلِك وَرَأى عينه مَفْتُوحَة إِلَى صَنْعَة من الصَّنَائِع مستعدًا لَهَا قَابلا لَهَا وَهِي صناعَة مُبَاحَة نافعة للنَّاس فليمكنه مِنْهَا هَذَا كُله بعد تَعْلِيمه لَهُ مَا يحْتَاج إِلَيْهِ فِي دينه »[٥].

وراعى الإسلام وجود البيئة الصالحة لهم فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ »[٦].

وأمر الإسلام وليَّ الأمر بوقايتهم من كلِّ سبب يوردهم النار والعذاب، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: ٦].

وحثَّ على نصحهم وتوجيههم فقال النَّبِيّ ﷺ: « مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ »[٧].

فالإسلام شرح وبيَّن كلَّ ما يحتاج إليه الأبناء من أحكام في جميع مراحل عمرهم منذ كونه رضيعًا وطفلًا ثم صبيًّا مميِّزًا ثم بالغًا ثم شابًّا إلى أن يستقر في جنة أو نار، واعتنى بكل ما يتعلق بتربيتهم ورعايتهم مما يزينهم في الدنيا، ويجعلهم صالحين نافعين لأسرهم ووطنهم.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٠١٨٨).
(٢) رواه ابن ماجة (٦١).
(٣) رواه أحمد في مسنده (٦٧٥٦).
(٤) كتاب العيال لابن أبي الدنيا (٣٠٩).
(٥) تحفة المودود في أحكام المولود (٢٤٤).
(٦) رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).
(٧) رواه البخاري (٧١٥٠).

@Baynoonanet
www.baynoona.net

الدرس الرابع عشر: إكرام الإسلام للمرأة.

اعتنى الإسلام بالمرأة عناية فائقة، وأنزلها مكانتها المناسبة، مكانة لم تكن في الديانات الأخرى، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ، فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ[البقرة: ٢٢٢]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ!»[(١)].

ومن صور إكرام المرأة في الإسلام أن سمَّى الله سورة باسمها: «سورة النساء»، وأشاد بمواقف بعض النساء في القرآن كبلقيس وامرأة فرعون، وجعلها شقيقة الرجل، وأناط بها بعض التَّكاليف الشرعيَّة التي لا يقوم بها غيرها، وقرَّر حريتها في التعامل تحت الدائرة المشروعة لها.

فالناظر في الإسلام يرى إكرامه لها أمًّا وبنتًا وأختًا وزوجةً، فأوجب على الأب تربيتها صغيرة، وعلى الزوج الإحسان إليها زوجة، وعلى الولد برَّها أمًّا، وأنزلها الإسلام منزلة الأمِّ إن كانت خالة، فالمرأة في الإسلام نصف المجتمع، لا يقوم المجتمع إلا بها، ولا يستغني الرجال عنها؛ بل هي من تصنع الرجال بإذن ربِّها.

ومن جميل القصص في هذا المقام ما جاء عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﵂، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا لِي أَسْمَعُ الرِّجَالَ يُذكرون في القرآن والنساء لا يُذكرْن؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾»[الأحزاب:٣٥][(٢)].

وقد نص الله على ذكرها في كتابه فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء:١٢٤].

وجعل لها من الميراث نصيبًا فقال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء:٧].

وحث الإسلام المرأة على العلم والتعلُّم، ولم يمنعها من العمل فيما يوافق شرع ربها، ويناسب طبعها، وحثَّ على المحافظة عليها وعلى جمالها وزينتها، وصانها من كلِّ ما يمكن أن يخدش حياءها وشرفها، وأمر بسترها وعدم تكشُّفها حتى تكون جوهرة مصونة في صدفتها، ومنع من الخلوة بها ومسِّها، لا تضييقًا عليها؛ بل حتى تكون في أتمِّ حشمتها وكرامتها.

هذا هو الإسلام وسط في جميع ما يتعلَّق بالمرأة، لا كما غلا فيها البعض فأخرجها عن حيائها، ولا كما جفا فيها البعض فحبسها ولم يقدِّرها قدرها.

(١) رواه مسلم (٣٠٢).
(٢) رواه النسائي في الكبرى (١١٣٤٠).

@Baynoonanet
www.baynoona.net
دروس مختصرة في بيان فضل الإسلام ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

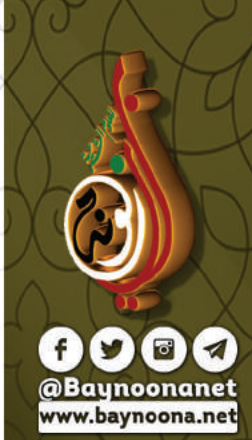

الدرس الخامس عشر: عناية الإسلام بالوالدين.

الوالدان لهما فضلٌ كبير على الإنسان بعد فضل الله حيث جعلهما الله سببًا في وجود الأبناء، وقد تحملا مشقة تربية الأطفال فالأمُّ حملته وهنًا على وهن، والأب كابد عناء الحياة ليوفر لهم أجمل حياة؛ لذا أولاهما الإسلام الأهميَّة البالغة والاحترام الكبير والبرّ العظيم قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

وجعل الإسلام رضا الربِّ تعالى برضاهما مقرونٌ فقال النبي ﷺ: « رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ وَسَخَطُ الرب في سخط الوالد »[١].

وقدَّم النبي ﷺ حقَّهما على عبادة عظيمة من العبادات ألا وهي الجهاد فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: « الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: « ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ » قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: « ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »[٢].

وأمر الإسلام بطاعتهما بالمعروف حتى لو أمرا الابن بترك ما يملك من الدنيا لكان الواجب عليه أن يطيعهما، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ أوصاه وصيَّة وكان ممَّا اوصاه به أن قال: « وأطعْ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُنْيَاكَ فَاخْرُجْ لَهُمَا »[٣].

وحرم الإسلام عقوقهما حتى ولو كانا مشركين فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٤-١٥].

وأخبر النبي ﷺ أن عقوقهما من أكبر الكبائر فقال: « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، ثَلَاثًا قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ »[٤].

فالإسلام اعتنى بالوالدين غاية الاعتناء، وأمر الأبناء ببرِّهما، والإحسان إليهما في كلِّ لحظة وحين وفي كلِّ ساعة ويوم، لا كما يَفعل الغرب من هجر الأمهات والآباء وعدم برِّهم إلا مرة في السَّنة فيما يسمُّونه بعيد الأمِّ، حتى تولَّد عن ذلك أن تشبَّه بعض المسلمين بالغرب فعقوا آباءهم وأمهاتهم من حيث يظنون أنهم أحسنوا ، وأساؤوا إليهم بالكلمة والفعل من حيث يظنون أنهم قد تحرَّروا.

لو كان يدري الابنُ أيَّة غصّـةٍ	يتجرَّع الأبوان عند فِـراقه
أمٌّ تهيج بوجده حيـــرانةٌ	وأبٌ يسحُّ الدَّمع من آماقِه[٥]
يتجرَّعان لِبَيْنِه غُصَصَ الرَّدى	ويبوح ما كتماه من أشواقه
لرثى لأمٍّ سلَّ من أحشـــائها	وبكى لشيخ هام في آفـــاقه
ولبدَّل الخلق الأبيَّ بعطفه	وجزاهما بالعذب من أخلاقه[٦].

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢).
(٢) رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم(٨٥).
(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨).
(٤) رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم(٨٧).
(٥) آماقه: أي من شدّة بكائه.
(٦) الأبيات للطرطوشي ينظر: معجم البلدان للحموي(٤/٣).

الدرس السادس عشر: عناية الإسلام بكبار السن.

أعطى الإسلام كلَّ شخصٍ منزلته، وراعى لكلِّ عبد سنَّه وعمره؛ ولذا نجد أنَّ الإسلام أعطى لكبار السنِّ مكانة وتقديرًا لم يحظ بها غيرهم؛ وذلك لما قد حازوه من خبرات، وما عايشوه من تجارب في ظلِّ هذه السنوات التي مرت عليهم، وقد قال النبي ﷺ: « مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا »[1].

ولهذا أتت مراعاة الإسلام لكبار السنِّ في صور كثيرة، منها:

١. تخفيف الصلاة مراعاة لحقهم، قال النبي ﷺ: « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ، فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ »[2].

٢. البدء بالكلام إجلالًا لكبر سنِّهم، فقد انطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود إلى النبي ﷺ فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال ﷺ: « كَبِّرْ كَبِّرْ » -وهو أحدث القوم فسكت- فتكلما.[3].

٣. تقديم العطاء لهم من مشروب ومأكول وسواك ونحوه، قال ﷺ: « أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَذَبَنِي رَجُلَانِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ »[4].

٤. عدم كلام صغير السنِّ بحضرتهم إلا لمصلحة راجحة فعن أبي سعيد سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: « لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلامًا فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أنَّ هاهنا رجالًا هم أسنُّ منِّي »[5].

٥. تقديمهم في الصلاة إن كان المتقدمون لها في القراءة سواء، قال رسول الله ﷺ: « يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً، فَلْيَؤُمَّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا »[6].

فهذه النصوص تعطى الناس تصورًا عامًّا في حقِّ كبار السنِّ من احترامهم وتقديرهم وتقديمهم والاستفادة من خبراتهم، ومن المحزن ما تراه الأعين وتسمعه الآذان من صدور بعض الكلمات غير اللائقة، والتصرفات غير الرَّاقية مع كبار السنِّ: فذاك يرفع صوته عليهم، وهذا يسفِّه رأيهم، وهذا يتركهم يتكلمون ويمشى مدبرًا عنهم، والآخر يتقدم في المجلس قبلهم جالسًا متربعًا، وغيرها من صور مخلِّة بالأدب والتقدير مع كبار السنِّ، منافية لحث الشرع بإجلالهم فقد وردت السنة بالترغيب من إجلالهم، كما قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ »[7].

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٤٥).
(٢) رواه البخاري (٧٠٣).
(٣) رواه البخاري (٣١٧٣)، ومسلم (١٦٦٩).
(٤) رواه مسلم (٢٢٧١).
(٥) رواه مسلم (٩٦٤).
(٦) رواه مسلم (٦٧٣).
(٧) رواه أبوداود (٤٨٤٥)

الدرس السابع عشر: عناية الإسلام بالخدم.

أمر الإسلام بالرفق بالخدم ومعاملتهم بالحسنى، ولما كان رسول الله ﷺ خير من يمتثل الإسلام لم يكن منه ﷺ إلَّا أن كان رحيمًا بهم، وها هو أنس رضي الله عنه خادم النبي ﷺ يحكي معاملة النبي ﷺ معه، فيقول: « خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، عَشْرَ سِنِينَ، لَا وَاللهِ مَا سَبَّنِي سَبَّةً قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي: أُفٍّ قَطُّ، وَلَا قَالَ - لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ، وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا فَعَلْتَهُ »(1).

بل من حرص الإسلام بالخدم أن حثَّ على ما يجبر قلوبهم، فعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: « إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ، فَإِنَّهُ وَلِيَ عِلاجَهُ »(2).

وحذر الإسلام من إيذاء الخدم فعَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ قَالَ: « عَجِلَ شَيْخٌ فَلَطَمَ خَادِمًا لَهُ، فَقَالَ لَهُ سُوَيْدُ بْنُ مُقَرِّنٍ: عَجِزَ عَلَيْكَ إِلَّا حُرُّ وَجْهِهَا، لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ بَنِي مُقَرِّنٍ مَا لَنَا خَادِمٌ(3) إِلاَّ وَاحِدَةٌ، لَطَمَهَا أَصْغَرُنَا، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُعْتِقَهَا »(4).

هذا في الرقيق والعبيد، أما خدم اليوم فهم أجراء يعملون بأجرة؛ فيجب احترامهم وإعطاؤهم أجرهم، مع الحذر من ظلمهم، فعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ »(5)، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ »(6). فما يُرى في بعض الأحيان عند بعض الناس من ضرب الخدم، وإهانتهم، واحتقارهم، ومنع حقوقهم، وتكليفهم فوق طاقتهم، وغيره من التصُّرفات غير اللائقة كلُّ ذلك ليس من تعاليم ديننا السمحة، ولا من أخلاق القرآن والسنة.

---

(1) رواه أحمد (١٣٠٣٤)، ومسلم (٢٣٠٩).
(2) رواه البخاري (٢٥٥٧).
(3) (خَادِمٌ) هَكَذَا هُوَ فِي جَمِيعِ النُّسَخِ وَالْخَادِمُ بِلاَ هاء يُطْلَقُ عَلَى الْجَارِيَةِ كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الرَّجُلِ وَلاَ يُقَالُ خَادِمَةٌ بِالْهَاءِ إلاَّ فِي لُغَةٍ شَاذَّةٍ قَلِيلَةٍ. شرح النووي على مسلم (١١/ ١٢٩).
(4) رواه مسلم (١٦٥٨).
(5) رواه البخاري (٢٢٧٠).
(6) رواه ابن ماجه (٢٤٤٣).

الدرس الثامن عشر: معاملة الإسلام لأهل البدع.

أهل البدع هم الذين أحدثوا في الدِّين ما ليس منه بأهوائهم، حتى تفرقوا شيعًا وأحزابًا، وقد بيَّن العلماء أنَّ أصولهم أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة[1]، ثم تفرقت إلى اثنتي وسبعين فرقة، كما أخبر النبي ﷺ[2].

ولما كان أهل البدع يحملون أفكارًا مخالفة لدين الإسلام من غلوٍّ أو جفاء؛ منع الإسلام من تمكينهم، وحذَّر من الاستماع إليهم، فقال -تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[3].

ولقد حذر النبي ﷺ من البدعة عمومًا، فقال: «فإن كل بدعة ضلالة»[4]، وقال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»[5]، ونصَّ في تحذيره على الخوارج، فقال: «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ مَعَ صَلاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَؤونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَتَمَارَى فِي الْفُوقِ»[6]، كما حذر ﷺ من القدرية، فقال: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ: إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»[7].

وأجمع علماء الإسلام على الحذر من أهل البدع والتحذير منهم، يقول ابن أبي زمنين المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ السُّنَّةِ يَعِيبُونَ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ، وَيُخَوِّفُونَ فِتْنَتَهُمْ، وَيُخْبِرُونَ بِخَلَاقِهِمْ، وَلَا يَرَوْنَ ذَلِكَ غِيبَةً لَهُمْ، وَلَا طَعْنًا عَلَيْهِمْ»[8].

وقد منع الإسلام من توقير أصحاب البدع وإيوائهم قال ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا»[9]، وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ وَقَّرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ»[10].

وسببُ هذا التحذير والمنع خطرُ البدع وأهلها على الأفراد والمجتمعات والدول؛ فهي سبب للفرقة والتقاتل، والتنازع، والشقاق، والضَّعف، وتسلُّط الأعداء، وتشويه صورة الدين؛ ولهذا وغيره قرَّر العلماء أن علاج أهل البدع بأسلوبين، الأول: العلم، والإرشاد. والثاني: التعزير، والعقاب[11].

---

(١) ينظر الكتاب الجامع للقيرواني (١٠٧).
(٢) الحديث رواه الحاكم (٤٤٤)، وابن ماجه (٣٩٩٣) وغيرهما.
(٣) رواه البخاري (٤٥٤٧).
(٤) رواه ابن ماجه (٤٢).
(٥) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).
(٦) رواه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٤٧).
(٧) رواه أبوداود (٤٦٩١).
(٨) أصول السنة (٤٢٥).
(٩) رواه مسلم (١٩٧٨).
(١٠) ذم الكلام للهروي برقم (٩٢١).
(١١) ينظر: الاعتصام للشاطبي (١/ ٢٩٣-٢٩٥).

الدرس التاسع عشر: معاملة الإسلام لأهل الذمَّة.

بيَّن الإسلام كيفيَّة التعامل مع غير المسلمين من أهل الذمَّة الذين يدخلون بلاد المسلمين بأمان، وذلك أن الإسلام لم يرفع مكانتهم فوق أهل الإسلام، ولم يهضم حقَّهم بين الأنام، ويظهر ذلك جليًّا في قوله -تعالى-: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾ أَيْ: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ بِرِّ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ ﴾ تَعْدِلُوا فِيهِمْ بِالْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨] (١).

والناظر في أدلة السنة النبوية يجدها محذرةً أشدَّ التحذير من إيذائهم وقتلهم، كما قال ﷺ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ» (٢)، وقال: «أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣)، وحث على حفظ أموالهم وعدم نهبها حتى في مالهم الضائع، فأخبر النبي ﷺ فيما لا يحلُّ للمسلمين: «وَلَا اللُّقَطَةُ مِنْ مَالِ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا» (٤).

وفي المقابل حرَّم الإسلام التَّشبه بهم فيما يختص بهم في دينهم أو ما هو من شهوات دنياهم، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (٥)، وأشار إلى أن بعض المسلمين يتَّبعون غير المسلمين دون تأمل وتدبر مع أنه لا يجوز لهم ذلك، فقال: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ» (٦).

وليس معنى هذا أن الإسلام يمنع من الاستفادة من خبراتهم وصناعاتهم ودراستهم العلمية، بل هذه من الأمور المباحة، وقد يكون مطلوبًا شرعًا تعلُّمها.

وكذلك حرَّم الإسلام محبة دين الكفَّار وموالاتهم، فقال -تعالى-: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [عمران: ٢٨].

وأوجب الإسلام قتال من اعتدى من الكفَّار الحربيِّين على المسلمين ووطنهم، بحسب القدرة تحت راية وليِّ الأمر، حتى تُحمى أوطان المسلمين ويبقى أهله في عزَّة ومنعة وأمان.

فما يفعله أهل التَّطرف الغالي من قتل المعاهدين والذمِّيين وإيذائهم ليس من دين الإسلام، وما يقرِّره أهل التَّطرف الجافي من أفكار غير المسلمين والحثِّ على التَّشبه بهم مما يتنافى مع الإسلام والعادات والأعراف ليست كذلك من دين الإسلام.

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٩٥).
(٢) رواه البخاري (٣١٦٦).
(٣) رواه أبو داود (٣٠٥٢).
(٤) رواه أبو داود (٣٨٠٤).
(٥) رواه أبو داود (٤٠٣١).
(٦) رواه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

د. أحمد بن مبارك بن نزال المزروعي

@Baynoonanet
www.baynoona.net
دروس مختصرة في بيان فضل الإسلام ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

الدرس العشرون: تعامل الإسلام مع الحيوانات.

جعل الله البهائم زينة وركوبًا؛ تبلِّغ الناس إلى البلاد، ويحملون عليها أثقالهم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النحل:٨].

ومع هذا أمر الإسلام الإنسان برحمتها والرفق بها، قال ﷺ: « إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ، وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَعَلَيْهَا فَاقْضُوا حَاجَتَكُمْ »[1]، وقد طبق الصحابة ﭫ هذه الوصية؛ فقد مرَّ على عمر الفاروق ﭬ حمارٌ عليه لَبِن فطرح عليه منه، واستكثره، ورآه يثقله[2].

وقد نهى الإسلام عن تعذيب الحيوانات، وكلنا يحفظ قصة التي عُذبتْ بسبب هرَّة سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ[3]، وأثاب من رحمها، وجميعنا يعرف قصة الرجل الذي سقى كلبًا فكان سببًا لدخوله الجنة[4].

واستمع لهذه القصة التي تعلم منها عظيم رحمة الإسلام بالحيوان، فقد دَخَلَ النبي ﷺ يَوْمًا حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ قَدِ أَتَاهُ فَجَرْجَرَ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَمَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرَاتَهُ وَذِفْرَاهُ، فَسَكَنَ، فَقَالَ: « مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ؟ » فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: « أَمَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَهَا اللهُ، إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ »[5].

ومن جميل المواقف أن النبي ﷺ كان يأذن بتربية الطيور في البيوت بل ويسأل الصغار عنها عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَدْخُلُ عَلَيْنَا وَلِي أَخٌ صَغِيرٌ يُكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ وَكَانَ لَهُ نُغَرٌ يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَآهُ حَزِينًا، فَقَالَ: « مَا شَأْنُهُ؟ » قَالُوا: مَاتَ نُغَرُهُ، فَقَالَ: « يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟ »[6]، وكما أذن بتربية الطيور نهى عن تربي بعض الحيوانات كالكلب إلا لحاجة كصيد وحراسة.

بل من كمال تشريع الإسلام في جانب الحيوانات أنه نص على عدم قتل بعض الحيوانات كالهدهد، وفي المقابل أمر بقتل بعض الحيوانات لضررها، فقَالَ ﷺ: « خَمْسُ فَوَاسِقَ، يُقْتَلْنَ فِي الحَرَمِ: الفَأْرَةُ، وَالعَقْرَبُ، وَالحُدَيَّا، وَالغُرَابُ، وَالكَلْبُ العَقُورُ »[7].

فالإسلام عرف حقَّ الحيوانات قبل الأوربيين، وتوسط في حقِّها فلم يعذبها كما يفعله البعض، ولم يجعلها في مكانة فوق الإنسان كما يفعله بعض الغرب.

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٦٧).
(٢) سنن الصالحين (١/ ٣٥٨).
(٣) رواها البخاري (٣٤٨٢).
(٤) رواه البخاري (٣٦٦٣).
(٥) رواه أحمد في مسنده (١٧٤٥).
(٦) رواه أبو داود (٤٩٦٩).
(٧) رواه البخاري (٣٣١٤)، ومسلم (١١٩٨).

الدرس الحادي والعشرون: لا عنصرية في الإسلام.

كان الناس قبل الإسلام في جاهلية وشرٍّ، متفرقين أيَّما تفرق، هذا يفتخر بنسبه وحسبه، وهذا بأصله وفصله، وهذا بلونه وعرقه، فجاء الإسلام ليزيل هذه النَّعرة العنصريَّة الجاهليَّة، فلم يفرق بين أسود وأبيض، ولا بين نسب ونسب، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [الحجرات:١٣].

وأكد النبيُّ ﷺ على معنى الآية، فَقَالَ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ؛ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى » (١).

وقد حذر رسول الله ﷺ من جعل هذه الأنساب سُبَّة ومفخرة يفتخر بها الشخص على غيره، فعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِمَسَبَّةٍ عَلَى أَحَدٍ، كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ، طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَئُوهُ (٢) لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِدِينٍ أَوْ تَقْوَى، وَكَفَى بِالرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ بَذِيًّا بَخِيلًا فَاحِشًا » (٣).

وجعل الإسلام هذه العصبيَّة العنصريَّة من أمور الجاهلية، وتأمَّل هذه القصة التي يحكيها أبو ذر رضي الله عنه عن نفسه فقال: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَنِلْتُ مِنْهَا، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: « أَسَابَبْتَ فُلَانًا؟ » قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: « أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ؟ » قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: « إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ » (٤).

ومع كون هذه الشعارات العنصريَّة جاهلية فقد وصفها رسول الله ﷺ بأقبح الأوصاف وهي أنها (منتنة)، فعن جَابِرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ (٥) رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيّ: يَا لَلْأَنْصَارِ. وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ. فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: « مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟! » قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: « دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ » (٦).

ولم يأت هذا التحذير والتَّقبيح لهذه العنصريَّة إلا لأنَّها تفرِّق بين المسلمين، وتزرع بينهم العداوة والبغضاء، والإسلام حثَّ على أن يكون المسلمون كالجسد الواحد، كما قال رسول الله ﷺ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » (٧).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٣٤٨٩).
(٢) أي كلكم قريبٌ بعضُكم من بعض فليس لأحد فضْلٌ على أحد إلا بالتقوى لأنَّ طَفَّ الصاع قريب من ملئه فليس لأحد أن يقرُب الإناء من الامتلاء. ينظر: لسان العرب (٩/١٢٥).
(٣) رواه أحمد في مسنده (١٧٤٤٦).
(٤) رواه البخاري (٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١).
(٥) أي ضرَب دُبُرَه بيده. ينظر: لسان العرب (١٣/٦٦).
(٦) رواه البخاري (٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤).
(٧) رواه مسلم (٢٥٨٦).

@Baynoonanet
www.baynoona.net
دروس مختصرة في بيان فضل الإسلام ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

الدرس الثاني والعشرون: الدعوة في الإسلام.

الإسلامُ دينُ السلام والاستسلام، والأمن والإيمان، دعا إلى كلِّ خير، ونشرَ كلَّ ما يدعو إلى السعادة للفرد والمجتمع؛ ولهذا كانت للدعوة المرتبة العالية في الإسلام، وقد أخبر الله في كتابه أنه لا أفضل ممن دعا إلى الله، فقال -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت:٣٣]، ولم يكتف بكونه داعيًا إلى الله حتى يكون صالحًا في نفسه.

فالإسلام حثَّ على الدعوة، وجعلها مرتبة من مراتب النجاة من الخسران، فقال -تعالى-: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر:١-٤].

ولم يترك الإسلام باب الدعوة مفتوحًا بلا قيود يدخل فيه كل من هبَّ ودبَّ؛ بل وضع أسسه، فقال-تعالى-: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]، فبيَّنت الآية أن الدعوة تقوم على أساسين؛ الأول: أن تكون لله، لا لحزب ولا لنفس. والثاني: أن تكون على علم بالشرع لا على جهل، وكذلك أن يكون الداعية عالمًا بحال المدعو؛ لهذا لما أرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»[(١)]، فتأمل كيف بين النبي ﷺ لمعاذ حالهم، وأرشده إلى التدرج في دعوتهم، وأمعن النظر في أول ما يدعو له الداعية وهو توحيد الله -جل وعلا-؛ لأنه الأساس الذي تقوم عليه الأعمال.

ومع بيان الإسلام لأسس الدعوة فقد بين مراتب الدعوة فقال -تعالى-: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل:١٢٥]، فالدعوة إلى الله تكون بحكمة وهي للراغب، وبالموعظة وهي بالترغيب والترهيب للغافل، وبالجدال بالتي هي أحسن للمعارض.

وقد أرسل النبي ﷺ الدعاة في الأمصار من علماء الصحابة ﷺ، وأرشدهم إلى مهمات في الدعوة فقال ﷺ لما أرسل مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى ﷺ إِلَى اليَمَنِ: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»[(٢)].

فالدعوة باليسر الموافق للشريعة تقرب المدعو والعسر يبعده، والتبشير يرغب المدعو والتخويف المفرط ينفِّره، واجتماع الدُّعاة وتعاونهم وتطاوعهم يعطي الدعوة قوة، بعكس الاختلاف بينهم فإنه يورث الدعوة الضعف والرغبة عنها؛ فما يتبنَّاه بعض الدعاة من التعصبات ونشر الخلافات، والتشديد على الناس والتَّعسير عليهم ليس من الدين وسماحته، كما أن الدعوة إلى التساهل والتفريط ليست من طريقة الإسلام، وفي ذلك يقول عليٌّ ﷺ: «أَلَا إِنَّ الْفَقِيهَ كُلَّ الْفَقِيهِ الَّذِي لَا يُقَنِّطُ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَا يُؤَمِّنُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَلَا يُرَخِّصُ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (١٩).
(٢) رواه البخاري (٣٠٣٨).
(٣) حلية الأولياء (٧٧/١)

@Baynoonanet
www.baynoona.net
دروس مختصرة في بيان فضل الإسلام ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

الدرس الثالث والعشرون:
دعوة الإسلام إلى الإيمان.

أهمُّ القضايا التي دعا إليها الإسلام: الإيمان بجميع أركانه؛ الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة:٢٠٨]، وقال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

ولمَّا جاء جبريل عليه السلام ليعلِّم الصَّحابة رضي الله عنهم دينهم كان ممَّا علَّمهم أركان الإيمان الستة، فقد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: « مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ »[1]، وأهمُّ هذه الأركان الدعوة إلى الإيمان بالله بتوحيده في ربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: « إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عز وجل »[2]، وفي رواية[3]: « فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله، وفي رواية[4]: إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى ».

والدعوة إلى توحيد الله وعبادته هي دعوة الأنبياء والرسل، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وَقَالَ هُودٌ عليه السلام لِقَوْمِهِ: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف:٦٥]، وَقَالَ صَالِحٌ عليه السلام لِقَوْمِهِ: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وَقَالَ شُعَيْبٌ عليه السلام لِقَوْمِهِ: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فهذه دعوة الأنبياء؛ دعوة إلى التوحيد إلى عبادة الله وحده وهي أول دعوتهم وأساسها، حتى ظلَّ النبي ﷺ يدعو إليه طيلة العهد المكي، ولم يزل يدعو إليه في العهد المدني حتى قبل موته، وعليه فمن دعا إلى توحيد الربوبية لم تكن دعوته على طريقة الأنبياء والرسل، ومن أهمل الدعوة إلى التوحيد فقد أهمل أهم ركائز صلاح المجتمع.

---

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).
(٢) رواه مسلم (١٩).
(٣) عند مسلم (١٩).
(٤) عند البخاري (٧٣٧٢).

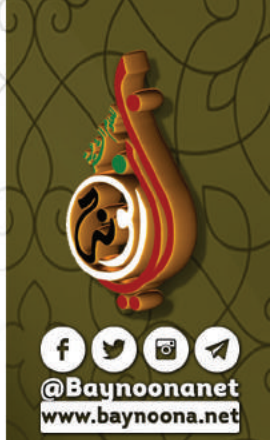

الدرس الرابع والعشرون:
دعوة الإسلام إلى الأعمال الصالحة.

دعا الإسلام إلى العمل الصالح، وهو ما شرعه الإسلام في القرآن والسنة، وكان العبد عند عمله مخلصًا فيه لله تعالى، ومتبعًا فيه رسول الله ﷺ، ورتَّب الله تعالى على من عمل الصالحات الحياةَ الطيبةَ في الدنيا، والأجر العظيم في الآخرة، فقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التغابن:٩].

وهذه الأعمال الصالحة منها ما هو واجب: كالصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وغيرها، ومنها ما هو مستحب: كصلوات الرواتب، وقيام الليل، والضحى، وصوم عاشوراء، والأيام البيض، ويوم عرفة لغير الحاج، والصدقة، والعمرة وغيرها، وقد أخبر النبي ﷺ أنَّ الله يحبُّ من أتى بالفرائض وثنَّى بالنوافل، فقال ﷺ فيما يرويه عن ربِّه أنَّه قال: « وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ »(١).

ومن يُسر الإسلام أن جعل أركان الإسلام سهلةً ميسرة؛ فالصلوات المفروضة خمس في اليوم والليلة، والصوم شهر في كل سنة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والزكاة ربع العشر في المال الذي بلغ النصاب، والحج مرة في العمر لمن استطاع، فمن حافظ عليها كنَّ له من أعظم أسباب دخول الجنة، فقد جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ، وَلاَ يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ. فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَصِيَامُ رَمَضَانَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ »(٢).

فمن الخذلان أن يقصِّر العبد في هذه الواجبات التي سيكون مردُّ نفعها إليه، لا إلى الله -تعالى، وقد قال رسول الله ﷺ: « فيما يرويه عن ربه أنه قال: يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ »(٣).

وأقبح من ذلك من يدعو إلى ترك هذه الفرائض من دعاة السوء الذين يريدون إبعاد الناس عن خالقهم ودينهم؛ حتى يكونوا فريسة أهوائهم وأعدائهم، وعوامل فساد في مجتمعاتهم وأوطانهم.

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).
(٢) رواه البخاري (٤٦).
(٣) رواه مسلم (٢٥٧٧).

@Baynoonanet
www.baynoona.net

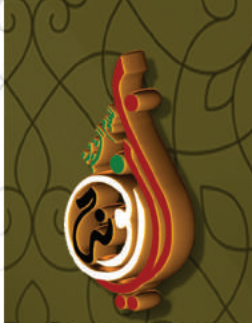

@Baynoonanet
www.baynoona.net

الدرس الخامس والعشرون:
دعوة الإسلام إلى الأخلاق الحميدة.

دعا الإسلام إلى جمال الظاهر والباطن بالتجمُّل بالأخلاق الحميدة، فدعا الإسلام إلى مكارم الأخلاق من إكرام الضيف، والصِّدق، والعفَّة، والصبر عند البلاء، والشكر عند النعماء، والشجاعة، والمروءة، والحياء، وطيب الكلام، وبشاشة الوجه، كما دعا الإسلام إلى وصل من قطع، وإعطاء من منع، والعفو عمَّن ظلم.

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[البقرة:١٧٧]، وأثنى الله على أصحاب الأخلاق الكريمة، وأعد لهم عظيم الثواب والنعيم، فقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقد ورد عن الصحابة رضي الله عنهم الحثُّ والترغيب على الأخلاق وبيان خلالها ومن ذلك قول عائشة رضي الله عنها: خلال المكارم عشر، تكون في الرَّجل ولا تكون في أبيه ولا في ابنه، وقد تكون في العبد ولا تكون في سيِّده، يقسمها الله لمن أحبَّ: «صدق الحديث، ومداراة النَّاس، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة، والتَّذمُّم[١] للجار، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصَّنائع، وقرى الضَّيف، والوفاء بالعهد، ورأسهنَّ كلهنَّ الحياء»[٢].

وجعل الإسلام الأخلاق من أثقل ما يثقل الموازين يوم القيامة، فقال النَّبيُّ ﷺ: «أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُلُقٌ حَسَنٌ»[٣]، بل ويبلغ العبد بحسن خلقه درجة الصائم القائم، كما قال النَّبِيّ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»[٤].

وفي المقابل نهى الإسلام عن مساوئ الأخلاق؛ فحذر من الكذب، والتَّلون، ومن ذي الوجهين، ومن النميمة، والغيبة، ومن الفخر والخيلاء، والبغي، والكبر، واللغو، والشُّح، والحسد والظلم وغيرها.

وهكذا كلُّ خلق وضيع فقد نهى عنه الإسلام ويكرهه ربُّ الأنام، كما أن كلَّ خلق رفيع فقد حث عليه الإسلام ويحبه ربُّ الأنام، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ ۵ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»[٥].

فمن أراد أحسن الأخلاق فسيجدها في كتاب الله، وسنة رسوله، وهدي صحابته ومن سار على طريقتهم من الأئمة والعلماء، ومهما تقدَّم الغرب وتطور فلن يصلوا إلى ذروة الأخلاق وأجملها، وما توهمه بعض الناس من وجود أخلاق جميلة عندهم ففي الإسلام ما هو أجمل إن لم يكن أصله في الحقيقة من تعاليمه؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ»[٦].

---

(١) أي أن يحفظ ذمَّته.
(٢) بهجة المجالس (١٣١/١).
(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٧٥٥٥).
(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٥٠١٣).
(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٥٩٢٨).
(٦) رواه مالك في الموطأ (٣٣٥٧).

الدرس السادس والعشرون:
حثُّ الإسلام على الاجتماع والألفة.

حثَّ الإسلام على الاجتماع والاتحاد، فقال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وبيّن رسول الله ﷺ أن الاجتماع مما يحبه الله ويرضاه، فقال ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا، يَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ »[١]، وبيّن أن الاجتماع مما يذهب غلَّ القلوب، فقال رسول الله ﷺ: « ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ »[٢].

وفي المقابل حذَّر الله ورسوله ﷺ أشدَّ التحذير من التفرق والاختلاف، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣١ - ٣٢]، فلا شيع ولا أحزاب؛ بل الجماعة جماعة واحدة، كما أن الدين واحد، والكتاب واحد، والسنة واحدة.

وتأمل تحذير رسول الله ﷺ ممن سعى في الفرقة وما توعّده به حيث قال ﷺ: « مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ[٣] »[٤].

ووصف الخارج عن الجماعة بقبيح الأوصاف، فقال ﷺ: « مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً[٥] »[٦].

ومن تأمّل الدين الإسلامي الحنيف وجده سادًّا لجميع أسباب الفرقة والاختلاف بأساليب متنوعة، فأولًا: بردِّ الخلاف للكتاب والسنة، وثانيًا: بالحثِّ على الاجتماع والألفة، والحث على جميع ما يؤدِّي إليها، ثالثًا: بالحذر من الفرق والأحزاب الذين يريدون تفريق المجتمعات ومن جميع ما يؤدِّي إلى الخلاف والتفرق؛ فقطع سوء ظنٍّ والحسد والتجسس وغير ذلك، فقد قال رسول الله ﷺ: « لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا »[٧].

حتى أن الإسلام منع الفرقة والاختلاف بسبب المسائل الفقهية الفرعية، وتأمل حال خير الخلق بعد الأنبياء كيف كانوا، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: صَلَّى عُثْمَانُ بِمِنًى أَرْبَعًا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَ عُمَرَ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَ عُثْمَانَ صَدْرًا مِنْ إِمَارَتِهِ، ثُمَّ أَتَمَّهَا، ثُمَّ تَفَرَّقَتْ بِكُمُ الطُّرُقُ فَلَوَدِدْتُ أَنْ لِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَيْنِ مُتَقَبَّلَتَيْنِ». ثم أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ صَلَّى أَرْبَعًا، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: «عِبْتَ عَلَى عُثْمَانَ، ثُمَّ صَلَّيْتَ أَرْبَعًا!، قَالَ: "الْخِلَافُ شَرٌّ»[٨]، وكذلك عدّ علماء الإسلام وأئمته الأعلام الخلاف المترتب على هذا النوع من المسائل من الشرِّ، فقال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن صلى خلف من يرى السجود في النقص بعد السلام فلا يخالفه، فإن الخلاف شر»[٩].

---

(١) رواه مسلم (١٧١٥).
(٢) رواه أحمد (١٦٧٣٨)، والترمذي (٢٦٥٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٠٣).
(٣) الربقة ما يجعل في عنق الدابة كالطوق يمسكها لئلا تشرد وتضل، فيكون من خرج من الطاعة كدابة يخلع الطاعة فيضل ويهلك. ينظر: عون المعبود (٨/١٦٢).
(٤) رواه أبو داود (٤٧٥٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٧٥٨).
(٥) معنى «مات ميتة جاهلية» أي على صفة موتهم من حيث هم فوضى لا إمام لهم. شرح مسلم للنووي (١٢/٤٤١).
(٦) رواه مسلم كتاب الإمارة (١٨٤٨).
(٧) رواه مسلم (٢٥٦٣).
(٨) رواه أبو داود (١٩٦٠).
(٩) الجامع لمسائل المدونة (٢/٨٢٢).

د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

@Baynoonanet
www.baynoona.net

الدرس السابع والعشرون:

حثُّ الإسلام على السمع والطاعة لوليِّ أمر المسلمين.

أمر الإسلام بالسمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، وبيَّن أنه لا جماعة إلا بإمام ولا إمام إلا بسمع وطاعة، فعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي »(١)، وقال: « السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ »(٢).

وألزم الإسلام الناس بيعة وليِّ أمر المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: « وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً »(٣).(٤)

وأمر الدين الإسلامي بتوقير حكَّام المسلمين وإجلالهم، فقال رسول الله ﷺ: « مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ »(٥).

فطاعة حكَّام المسلمين أصل عظيم من أصول الدِّين الواجبة، كما قرر ذلك علماء المسلمين، ومن جميل تقرير علماء المالكية لذلك قول ابن الأزرق المالكي ﵀: «إنَّ الطاعة له أصلٌ عظيم من أصول الواجبات الدينية حتى أدرجها الأئمة في جملة العقائد الإيمانية»(٦).

فطاعة ولاة أمر المسلمين واجبة في جميع الأحوال إلا إن أمروا بمعصية فلا طاعة لهم في تلك المعصية فحسب، مع وجوب البيعة وعدم خلعها، ولزوم الجماعة وعدم الخروج عنها، قال رسول الله ﷺ: « عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ »(٧).

وقد سار الصحابة ﵃ على هذه العقيدة وأوصى بعضهم بعضًا بها، فعن سويد بن غَفَلَة قال: أخذ عمر بيدي فقال ﵁: « يا أبا أميَّة، إني لا أدري لعلَّنا لا نلتقي بَعْدَ يومنا هذا: اتَّق الله ربَّك إلى يوم تلقاه كأنَّك تراه، وأطع الإمام وإن كان عبدًا حبشيًّا مجدَّعًا، إن ضربك فاصبر، وإن أهانك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن أمرك بأمر ينقص دينك، فقل: طاعة مني دمي دون ديني، ولا تفارق الجماعة »(٨).

فهذا هو الإسلام أمر بالسمع والطاعة لحكَّام المسلمين في غير معصية الله، امتثالًا لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، وتحقيقًا لأمن البلاد، وسلامة العباد، لا كما يفعل غلاة المتطرِّفين من الخوارج ومن سار على نهجهم من الدواعش والإخوان المسلمين الذين خرجوا على الحكَّام وكفروهم فعمَّ في البلاد الدمار.

---

(١) رواه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).
(٢) رواه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).
(٣) رواه مسلم كتاب الإمارة (١٨٥١).
(٤) المفهم القرطبي (٤/٤٤). وينظر: بهجة النفوس شرح مختصر البخاري ابن أبي جمرة (١/٣٢).
(٥) رواه الترمذي (٢٢٢٤) وقال: حديث غريب، وصححه الألباني الصحيحة (٢٢٩٧).
(٦) بدائع السلك (١/٧٨).
(٧) رواه مسلم (١٨٣٩).
(٨) السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني (٢/٤٠٢).

الدرس الثامن والعشرون:
الإسلام عزَّز الوطنية وحمى الأوطان

الوطن أرض يعيش الإنسان فيه، ويتربَّى في ربوعه، ويستفيد من خيراته، فطر الله الناس على حبِّه؛ ولهذا كان النبي ﷺ يسأل الله حبَّ المدينة ويدعو لها، فيقول: « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ »[1]، وكذلك الأنبياء من حرصهم على أوطانهم أنهم يسألون الله تعالى أمن أوطانهم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ [إبراهيم:٣٥].

فالانتماء إلى الوطن وحبُّه غريزةٌ فطرية أقرَّها دين الإسلام، وهذا الحبُّ يلزم منه المحافظة على أمنه، واجتماع كلمته على ولاة أمره، والذود عن حماه، وذلك واجب على كلِّ فرد من أفراده، كلٌّ بحسب عمله ومكانه وقدرته؛ فوليُّ الأمر في إمامته وسياسته، ووزراؤه في وزارتهم ومناصبهم، والمسؤولون في مؤسساتهم وإداراتهم، والموظفون في وظائفهم وأعمالهم، والعسكر والجيش في عسكرهم وجيوشهم، والمعلِّم في مدرسته وجامعته وتعليمه، والإمام في مسجده وإمامته وخطبته، والطالب حال تعلُّمه ودراسته، والأب في بيته برعايته لأسرته، والأمُّ في بيتها بتربيتها لأولادها، كلُّهم بناة للوطن، حماة له بأقوالهم وأفعالهم، ينصحون بقولهم، ويصدقون بفعلهم، ويأخذون بيد ضعيفهم ويمنعون سفيههم، كأعضاء الجسد الواحد لا يستغني بعضهم عن بعض، ويتألَّم بعضهم بألم البعض، كما أخبر النبي ﷺ فقال: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى »[2].

وقد ضرب النبي ﷺ مثالًا للمجتمع أو الوطن بالسفينة كيف يحرص العقلاء على نجاتها بأخذ بعضهم بيد بعض، فقال: « مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا »[3].

فهذه الوطنية والمواطنة الحقَّة، لا كما يدَّعيه بعض من لا يعرف للوطن حقَّه ممن يرفع شعارات برَّاقة لا يترتب عليها أثر نافع للوطن، بل قد تجد فعله فيما فيه ضرر للوطن، فلا خير فيمن كان هذا حاله، كما أنه لا خير في مواطن لا يقدِّر للوطن قدره، ولا يحمي حماه، ولا يجتهد في رفع مستواه، ولا يحرص على أمنه وجماعته، ولا يبالي بالأخطار المحدقة به.

---

(١) البخاري (١٨٨٩).
(٢) رواه مسلم (٢٥٨٦).
(٣) البخاري (٢٤٩٣).

@Baynoonanet
www.baynoona.net

الدرس التاسع والعشرون:

مهددات اجتماعية وطنية حذَّر منها الإسلام.

حذَّر الإسلام من أخطار تهدِّد وتضرُّ بوحدة المجتمع، وشمل الأسر، واجتماع الكلمة، وتُدخل الشقَّ في بنيان الدولة، وتُضعف التعاضد بين أفراد الوطن.

ومن تلك المخاطر التي تهدِّد المجتمعات والأوطان ما جاء في وصية رسول الله ﷺ؛ تلك الوصية التي حملت كلمات عظيمة من تدبرها وعمل بها حمى مجتمعه من التَّصدع، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتِسْعٍ: « لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُطِّعْتَ أَوْ حُرِّقْتَ، وَلَا تَتْرُكَنَّ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ مُتَعَمِّدًا؛ وَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ ، وَلَا تَشْرَبَنَّ الْخَمْرَ؛ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ، وَأَطِعْ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دنياك؛ فاخرج لهما، ولا تُنَازِعَنَّ وُلَاةَ الْأَمْرِ، وَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّكَ أَنْتَ، وَلَا تفرر مِنَ الزَّحْفِ؛ وَإِنْ هَلَكْتَ وَفَرَّ أَصْحَابُكَ، وَأَنْفِقْ مِنْ طولك عَلَى أَهْلِكَ، وَلَا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ، وَأَخِفْهُمْ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » [1].

ومن المخاطر التي تهدد المجتمعات ترك التمسك بالكتاب والسنة وفهم صحابة رسول الله ﷺ.

ومن المخاطر التي تهدِّد المجتمعات الجهل؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: « يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ » [2]، وكذلك تركُ النصيحةِ والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن المخاطر المهددة للمجتمعات وجود الحزبيات المقيتة والتنظيمات السرية، وقد حذَّر الله منها فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣٢].

وكذلك من المخاطر التي تهدد المجتمع قبول الرشوة وأكلُ الربا، والميسر والقمار؛ فهي تدمر الاقتصاد، وتولد الأحقاد، وتفكك الأفراد؛ ولهذا حارب الله متعاطي الربا، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٩]، وقد «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ» [3]، وأما القمار فقد بيَّن الله تعالى أنه سبب للعداوة والبغضاء فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١].

ومن المخاطر التي تهدد المجتمع فشو الزنا واللواط؛ هذه المنكرات التي تضر بالأنساب، وتهتك الأعراض، وتولِّد الأمراض، جاء الشرع بتحريمها وإنكارها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢]، وَلَمَّا كَانَتْ مَفْسَدَةُ اللِّوَاطِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَفَاسِدِ؛ كَانَتْ عُقُوبَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَعْظَمِ الْعُقُوبَاتِ؛ لهذا حلَّ العقاب الشديد على قرية كانت تأتي الرجال من دون النساء: ﴿فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر:٧٤].

ومن المهددات المجتمعية السحر، والنميمة؛ فالسحر كفر، والنميمة كبيرة، وكلاهما يشتركان في التفريق والإفساد، قال تعالى في السحر: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢]، وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ في النميمة: « أَتَدْرُونَ مَا الْعَضْهُ ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: نَقْلُ الْحَدِيثِ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضٍ، لِيُفْسِدُوا بَيْنَهُمْ » [4].

ومن المهددات الوطنية الدولية التَّخذيل عن الجهاد الشرعي تحت راية ولي الأمر، الذي يترتَّب عليه تسلط الأعداء على الوطن، ويجرئ الطامع المعتدي على غزو الدول، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ » [5]

فالدين الإسلامي أتى بكل ما يحافظ على الأوطان والمجتمعات بدءًا من الفرد ثم الأسرة ثم المجتمعات ثم الدول بل والعالم كله، وحذَّر من كل ما يهدِّد الأوطان والمجتمعات بدءًا من الفرد وانتهاء بالعالم كله، فلن تجد دينًا اعتنى بسلامة المجتمعات والأوطان كدين الإسلام.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨).

(٢) رواه البخاري (٨٥)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٣) رواه أبوداود (٣٥٨٠).

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد (٤٢٥).

(٥) رواه أبوداود (٣٤٦٢).

الدرس الثلاثون:

تحذير الإسلام من الشرك.

الشِّرك هو صرف العبادة لغير الله، وقد حذَّر الإسلام منه أيما تحذير؛ لخطره البالغ على الفرد والمجتمع، فالشرك الأكبر ذنب لا يغفره الله وهو أرحم الراحمين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء:١١٦]، والشرك ذنب يخلد صاحبه في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾[المائدة: ٧٢]، والشرك ذنب يحبط الأعمال، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥].

لهذا خاف إبراهيم عليه السلام الشرك وهو إمام الموحدين فقال الله تعالى حكاية عنه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾[إبراهيم:٣٥]، وقد خاف النبي ﷺ على أمته الشرك الأصغر، فقال ﷺ: « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ» . قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً » [1].

فإذا كان النبي ﷺ خاف على أمته من الشرك الأصغر الذي لا يخرج العبد من الإسلام فكيف بالأكبر؟!.

ولهذا حذر النبي ﷺ من الشرك، وبيَّن أن الله لا يرضاه، قال رَسُول الله ﷺ: « قَالَ اللهُ -عز وجل-: أنا أغنى الشُّركَاء عَن الشِّرك فَمن عمل لي عملًا أشرك فِيهِ غَيْرِي فَأَنا مِنْهُ بَرِيء وَهُوَ للَّذي أشرك » [2]، وقال رسول الله ﷺ: « لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا؛ وَإِنْ قُطِّعْتَ أَوْ حُرِّقْتَ » [3].

وسدَّ ﷺ كلَّ طريق يوصل إلى الشرك، فقد فحذَّر من الغلوِّ في الثناء عليه ﷺ، فقال: « لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ » [4]، ولمَّا مُدح ﷺ بحضرته منعهم من الزيادة في المدح والمبالغة فيه، فقال ﷺ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَرَسُولُ اللهِ، وَاللهِ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَا رَفَعَنِي اللهُ » [5]، ودعا ﷺ ربَّه ألا يجعل قبره معبدًا، فقال: « اللهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » [6].

وهذا كلُّه لعظم جناية الشرك، وعظيم ضرره وخطره؛ فهو السبب الرئيس في ذهاب الأمن، وتلاشي الأوطان، وتفرق بني الإنسان، وتسلط الشيطان، قال تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾[النحل:١١٢].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٣٦٣٠).
(٢) رواه مسلم (٢٩٨٥).
(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨).
(٤) رواه البخاري (٣٤٤٥).
(٥) رواه أحمد في مسنده (١٣٥٢٩).
(٦) رواه أحمد في مسنده (٧٣٥٨).

@Baynoonanet
www.baynoona.net
دروس مختصرة في بيان فضائل الإسلام ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

الدرس الحادي والثلاثون:

تحذير الإسلام من كبائر الذنوب.

حذَّر الإسلام من كبائر الذنوب، وتوعَّد الشَّرعُ صاحبها بالوعيد الشديد، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ» (١).

وعدَّ العلماء من الكبائر كلَّ ما نهى عنه الشرع مع اقترانه بوعيد أو لعن أو عقاب أو حدٍّ، ومن ذلك: الزِّنا، واللِّواط، وشرب الخمر، وقطع الطريق، وشهادة الزور، وعقوق الوالدين، والغيبة، والنميمة، واليمين الغموس، والكذب، واللَّعن، والتكفير، وترك الصلاة في وقتها، والقنوط من رحمة الله، وإساءة الظن بالله، والدِّياثة، وترك الزكاة أو الحج أو الصيام مع القدرة والاستطاعة، والرِّشوة، والسَّرقة، والقول على الله بلا علم، وإتيان الحائض وإتيان المرأة في دبرها، وغشُّ الإمام والخروج عليه، وغيرها من المحرمات التي ذكرت في الكتاب والسنة؛ وما كان ذلك التحريم والمنع إلا لوجود ضرر فيها على المال أو العقل أو النفس أو الدين أو العرض.

وقد وعد الله تعالى من اجتنب الكبائر أن يكفِّر عنه الصغائر، فقال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[النساء:٣١].

فليكن المسلم على حذر منها واجتناب لها، وليتنبه من الوقوع في مصائد المتساهلين أو الشهوانيين ممن روَّج للمعاصي وسهل الوقوع فيها، ولا يلتفت إلى تقنيط المقنِّطين ممن سدَّ باب التوبة على العباد؛ فإن الله يتوب على العبد إذا تاب، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣]، وقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ الله تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» (٢).

وقد دلَّت النصوص على أن التوبة الصادقة ما توفر فيها ثلاثة شروط: «أَحَدُهَا: أَنْ يُقْلِعَ عَنِ المَعْصِيَةِ. والثَّانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا. والثَّالثُ: أَنْ يَعْزِمَ أَنْ لا يَعُودَ إِلَيْهَا أَبَدًا، فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوبَتُهُ، وإِنْ كَانَتِ المَعْصِيةُ تَتَعَلَّقُ بآدَمِيٍّ فَشُرُوطُهَا أَرْبَعَةٌ: هذِهِ الثَّلاثَةُ، وأَنْ يَبْرَأَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِهَا، فَإِنْ كَانَتْ مالًا أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إِلَيْه، وإِنْ كَانَتْ حَدَّ قَذْفٍ ونَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ، وإنْ كَانَتْ غِيبَةً اسْتَحَلَّهُ مِنْهَا» (٣)، فمن تاب توبة صادقة فله عند الله المغفرة والجنات والنور يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[التحريم:٨].

(١) رواه البخاري (٢٧٦٦).
(٢) رواه مسلم (٢٧٥٩).
(٣) ينظر: رياض الصالحين (٢٩).

د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

@Baynoonanet
www.baynoona.net
دروس مختصرة في بيان فضائل دين الإسلام ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

@Baynoonanet
www.baynoona.net

الدرس الثاني والثلاثون:
تحذير الإسلام من التكفير.

قد حذَّر الإسلام من تكفير المسلمين أيما تحذير، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ﴾[الحجرات:١١]، قال جماعة من المفسرين: «هو قول الرجل لأخيه: يا كافر، يا فاسق» (١)، وقد جاء عن النبي ﷺ التحذير من التكفير، فقال: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا» (٢).

وتخوَّف النبي ﷺ على أمته ممن يحمل القرآن ثم ينقلب حاله فيرمي المسلمين بالتكفير والشرك، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُئِيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ رِدْئًا لِلْإِسْلَامِ غَيَّرَهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ فَانْسَلَخَ مِنْهُ، وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشِّرْكِ» قُلْتُ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشِّرْكِ الْمَرْمِيُّ أَمِ الرَّامِي؟» قَالَ: «بل الرَّامِي» (٣).

وأكَّد النبي ﷺ على هذا التحذير من التكفير في حجة الوداع، فقال ﷺ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» (٤).

وكان الصحابة ﷺ يحذرون من التكفير ويفزعون منه، فعن أبي سفيان قال: قلت لجابر: «أكنتم تقولون لأحد من أهل القبلة كافر؟» قال: «لا». قلت: «فمشرك؟» قال: «معاذ الله» وفزع (٥).

وهذا التكفير الذي تولَّى كبره اليوم الجماعات المتطرِّفة كالإخوان المسلمين وداعش والقاعدة وغيرهم ما هو إلا مخالفة لما عليه الإسلام السمح الصحيح، وموروث فاسد من فكر الخوارج الأوائل، وهو سبب في الإثم العظيم والمفاسد الكبيرة؛ فبسببه تقاتل المسلمون، وتفرقت الأمة الإسلامية، وبسببه انتهكت أعراض المسلمين، وسفكت دماء المعصومين، وبسببه ذهب الأمن وحلَّ الخوف في بلاد المسلمين، وهذا بالفعل ما قام به خوارج العصر من التفجيرات في بلاد المسلمين، وقتل أهل الإسلام؛ فصدق فيهم قول رسول الله ﷺ: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ» (٦)، حتى بلغ بهم الأمر أن قتلوا آباءهم وأمهاتهم، فصدق فيهم قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ»، قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْكَذِبُ وَالْقَتْلُ»، قَالُوا: أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ الْآنَ؟! قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْكُفَّارَ، وَلَكِنَّهُ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَيَقْتُلَ أَخَاهُ، وَيَقْتُلَ عَمَّهُ، وَيَقْتُلَ ابْنَ عَمِّهِ». قَالُوا: سُبْحَانَ اللهِ، ومَعَنَا عُقُولُنَا؟! قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنَّهُ يَنْزِعُ عُقُولَ أَهْلِ ذَاكُمُ الزَّمَانِ حَتَّى يَحْسَبَ أَحَدُكُمْ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ» (٧).

ومع هذه المفاسد الظاهرة شرعًا وعقلًا وفطرة إلا أنَّ الخوارج لم ينظروا لها، ولم يعتبروا بها؛ لأنهم كما أخبر النبي ﷺ: «حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ» (٨).

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر(١٦/٣١٥).
(٢) رواه البخاري(٦١٠٣)، ومسلم(٦٠).
(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (٣٧٧٧).
(٤) رواه البخاري (٧٠٧٨).
(٥) التمهيد (١٦/٣١٥).
(٦) رواه البخاري(٣٣٤٤)، ومسلم(١٠٦٤).
(٧) رواه ابن ماجه(٣٩٥٩).
(٨) رواه البخاري(٥٠٥٧).

الدرس الثالث والثلاثون:

لا جاهلية في الإسلام.

الإسلام دين مبنيٌّ على العلم المبنيِّ على الكتاب والسنة، الموافقِ للعقل الصريح، والفطرِ السليمة؛ ولهذا يرفض الإسلام كلَّ أمر من أمور الجاهليَّة، وقد وضع النبي ﷺ في حجة الوداع قاعدة هذا الباب، فقال: « أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ » (١).

وأتى التَّحذير الشَّديد من رسول الله ﷺ فيمن ابتغى سنة الجاهلية، فقال: « أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ » (٢).

وحذَّرت نصوص الإسلام من صور كثيرة من الجاهلية، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[الأحزاب:٣٣]، وقال النَّبيُّ ﷺ: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ » (٣)، وقال النَّبيُّ ﷺ: « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ » (٤).

فكلّ ما هو من أمر الجاهلية: كالإشراك، والتَّفرق، ومخالفة وليِّ الأمر، والتَّقليد الأعمى، والاقتداء بفسقة العلماء والعباد، والغلوِّ في الصالحين، والاعتياض عن كتاب الله بالسحر، وتحريف النصوص، ورمي أهل الإيمان بالكذب والبهتان، والاستهزاء بالصالحين، واتخاذ القبور مساجد، والتبرك بالآثار والأحجار، وإنكار البعث، وكراهية البنات، وغيرها من أعمالهم وأقوالهم التي بنيت على الجاهلية؛ فيجب على المسلمين مخالفتهم فيها، والابتعاد عنها.

وسنة النبي ﷺ مليئة بمخالفة أهل الجاهلية، ومن ذلك أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قدم الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: « مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟ » قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ » (٥)، ومن ذلك أن المُشْرِكِينَ كَانُوا لاَ يُفِيضُونَ من مزدلفة حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَيَقُولُونَ: (أَشْرِقْ ثَبِيرُ)، فخالفهم النَّبيُّ ﷺ وأَفَاضَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ (٦)، فخالفهما رسول الله ﷺ في أعيادهم وعباداتهم وأخلاقهم، بل وحتى ما كان من عاداتهم؛ لأن قوله: « أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ » (٧)، عام يدخل فيه جميع تلك الأنواع، ويندرج تحت لفظ « الجاهلية » كل جاهلية مطلقة أو مقيدة كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو غيرها.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَذِّرُ أَصْحَابَهُ وَسَائِرَ أُمَّتِهِ مِنْ سُوءِ صَنِيعِ الْأُمَمِ قَبْلَهُ الَّذِينَ صَلَّوْا إِلَى قُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ وَاتَّخَذُوهَا قِبْلَةً وَمَسْجِدًا، كَمَا صَنَعَتِ الْوَثَنِيَّةُ بِالْأَوْثَانِ الَّتِي كَانُوا يَسْجُدُونَ إِلَيْهَا وَيُعَظِّمُونَهَا وَذَلِكَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُخْبِرُهُمْ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ، وَأَنَّهُ مِمَّا لَا يَرْضَاهُ خَشْيَةً عَلَيْهِمُ امْتِثَالَ طُرُقِهِمْ، وَكَانَ ﷺ يُحِبُّ مُخَالَفَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَسَائِرَ الْكُفَّارِ، وَكَانَ يَخَافُ عَلَى أُمَّتِهِ اتِّبَاعَهُمْ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ ﷺ على جهة التعيير والتَّوْبِيخ: « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَوْ دَخَلَ جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ » (٨)» (٩).

فكلُّ ما هو من الجاهليَّة فيجب على أهل الإسلام أن لا يعملوا به؛ لأنه بنيٌّ على الجهل، وكلُّ ما كان مبنيًّا على الجهل فلا بدَّ وأن تكون نتائجه الشرُّ؛ ولهذا قال حذيفة ﷺ: « كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ » (١٠)، فلا خير إلا ما جاء به الإسلام.

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨).
(٢) رواه البخاري (٦٨٨٢).
(٣) رواه البخاري (١٢٩٤).
(٤) رواه مسلم (٩٣٤).
(٥) رواه أبوداود (١١٣٤).
(٦) رواه البخاري (١٦٨٤).
(٧) سبق عزوه.
(٨) رواه البخاري (٧٣٢٠).
(٩) التمهيد (١٧٧/٥).
(١٠) رواه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

@Baynoonanet
www.baynoona.net
دروس مختصرة في بيان فضل الإسلام ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

الدرس الرابع والثلاثون:

محاسن الإسلام.

الدين الإسلاميُّ حوى في جمع مسائله -فروعًا وأصولًا- محاسنَ بهية ونظارة عليَّة، ممَّا يجعله متقبَّلًا عند كلِّ صاحب عقل وفطرة سليمة؛ لأنَّ مبنى هذا الدِّين على الكتاب والسنة وهما في غاية الحكمة، فلا يخالف الإسلامُ الفطرَ السليمةَ، ولا العقولَ الصريحةَ.

وقد بُني الدين الإسلامي على أصول عقديَّة تزكِّي القلوب، وتصلح الأرواح، وتقود إلى صالح الأعمال، وجميل الأخلاق، والدين الإسلامي كذلك بُنيت أعماله على أركان عظيمة من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت؛ مما تحقق للعبد السعادة، وتهذِّب نفسه، وتربطه بربِّه، كما أن الدين الإسلامي أعتنى بجانب النَّظافة والطهارة في المبلس، والمأكل، والمشرب والنوم، والعبادة، مزيلًا أنواع النجاسات والخبائث عن الإنسان، بل واعتنى بما يتعلق بسنن فطرته؛ من ختان، وحلق شعر العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وإعفاء اللحى، وقص الشوارب، وكذلك أعتنى الدين الإسلامي بالآداب التي تتعلق بالإنسان في نومه ومأكله، ومشربه، وزواجه، وبيته وخلائه، ومع هذا لم يهمل الدين الإسلامي جانب الجماعة؛ فحثَّ على الألفة والاجتماع، وحذَّر من الفرقة والاختلاف، الذي يترتب عليه تحصيل منافع الدين والدنيا، ويندفع به مضار ومفاسد الدارين، وحثَّ الدين الإسلامي ورغب على نفع النوع الإنساني، وأرشد إلى كيفية تعامل المسلم مع جميع أصناف الناس بعدل ورحمة وحكمة، ولما كان النوع الإنساني لا بدَّ له من الاجتماع أمر الدين الإسلامي بالمعروف ونهى عن المنكر حتى ترتقي المجتمعات في درجات الخير والفلاح، وقد رسخ الدين الإسلامي مبادئ القيام بحقوق الخلق بين الراعي والرعية، والزوج وزوجته، والأولاد وآبائهم، وبين الجيران، والأرحام، والمتعلمين، والمتعاملين بجميع أصنافهم حتى ينظم تعايش الناس مع بعضهم البعض، ويصل بهم إلى تحقيق مصالحهم الدينية والدنيوية، وكلُّ ذلك في إطار العدل والحكمة والرحمة، كما أن الدين الإسلامي جاء بمبدأ الشورى الذي يتوصل به إلى أحسن الآراء؛ لتحقيق المصالح الدينية أو الدنيوية الداخلية أو الخارجية.

ومن محاسن الدين الإسلامي أنه أباح المعاملات الماليَّة من بيوع، وشركات، وإيجارات وغيرها وجعل هذه الأنواع حلًّا في أصلها؛ حتى ينتفع الناس بها، وتتحقق لهم مصالحهم وحاجياتهم، بل إنه نظم لهم المعاملات المالية في حياتهم وبعد مماتهم بنقل التركات إلى مستحقيها، بل حتى إنه قرَّر التصرفات في أموال السفهاء، أو من تصرف في ماله فيما فيه ضرر، أو كان لا يحسن التصرف فيه بالحجر عليه.

وكذلك جعل الدين الإسلامي الأصل في المطاعم والمشارب والملابس الحلَّ إلا ما كان منهيًّا عنه، أو فيه ضرر على النوع الإنساني؛ كالمخدرات والمسكرات، والحرير والذهب للرجال فقد جاء بمنعها لمصلحة الإنسان.

وقد جاء الدين الإسلامي بما يثبت الحقوق لأهلها فجاء بمشروعيَّة التوثيق والشهادة؛ كالرهن، والضمان، والكفالة، ووضع الدين الإسلامي الحدود والتعزيرات على المجرمين على حسب نوع الجريمة بما يكون فيه دفع الجريمة وحياة النوع الإنساني، وشرع الدين الإسلامي القضاء لفصل الخصومات وحلِّ المشاكل المجتمعية، ببينات وأدلَّة لا تجعل القويَّ يعتدي على الضعيف، أو أن يأخذ أحد حقَّ غيره.

فالدين الإسلامي جوهرةٌ من أجمل الجواهر، ودرَّةٌ من أثمن الدرر، حوى المحاسن في جميع عقائده، وعباداته، ومعاملاته، وأخلاقه، تقريرًا للخير وتحذيرًا من الشرِّ، وما هذه الإشارات إلا جملة يسيرة من محاسنه، وغيضًا من فيض من دُرره وجواهره، فحريٌّ بدين هذه محاسنه أن يتمسك به، ويعمل بما فيه، وتنشر أحكامه.

@Baynoonanet
www.baynoona.net
دروس مختصرة في بيان محاسن الإسلام
ومكانته ومعالمه ووجوب التمسك به

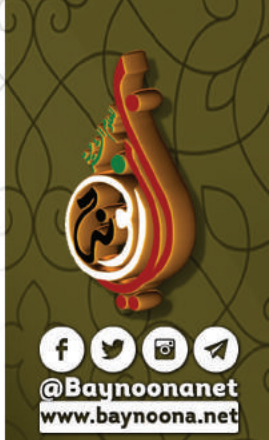

@Baynoonanet
www.baynoona.net

الدرس الخامس والثلاثون:

لا مجال لإبعاد الدين الإسلامي عن الحياة.

هـذا هـو الإسـلام شـموليَّة في تشـريعاته، رحمـة في أحكامـه، يسـر في تعاليمـه، عـدل في معاملاتـه، وحّـد الله بـه الأمَّـة وأنقذهـا مـن الغمَّـة، وجعلهـا في منعـة وعـزَّة.

هـذا هـو الإسـلام ديـن صالـح لـكلِّ زمـان ومـكان، لـكلِّ فـرد وإنسـان، شـرع كلَّ مـا فيـه نفـع وصـلاح للإنسـان في عقائـده، وعباداتـه، وأخلاقـه ومعاملاتـه، مـع موازنـة بيـن الـروح والجسـد، وبيـن الديـن والدنيـا، فأعطـى كل ذي حـقٍّ حقَّـه.

هـذا هـو الإسـلام جديـر بعـلاج جميـع المظاهـر والمشـكلات الـتي تفُـتُّ بعضُـد الأمة ففيـه مـن القواعـد والأصـول والأدلَّـة والنصـوص مـا يعالـج بـه الشـرك، والبـدع، والخرافـات والسـحر والكهانـة، والمعاصـي والذنـوب، ومـا يعالـج مظاهـر الغـشِّ، والخيانـة، والخديعـة، والرِّشـوة، والخمـور، والربـا، والزنـا، والسـرقة، ومـا يعالـج مشـاكل البطالـة والفقـر والمجاعـة، وإن مشـكلة العصـر الـتي هـي مـن أعظـم مشـكلاته اليـوم ألا وهـو التَّطـرُّف قـد عالجهـا الإسـلام علاجًـا لا يوجـد في أي ثقافـة غربيـة، ولا قوانيـن بشـرية، فقـد اسـتأصل أصـول الأفـكار المتطرِّفـة الإرهابيـة، وحـذَّر منهـا ومـن أهلهـا ومـن طرقهـم وتلبيسـاتهم، ووضـع الأصـول السـليمة، والمبـادئ المسـتقيمة والأدلـة القويمـة الـتي تحقـق الأمـن والألفـة والجماعـة والوحـدة.

هـذا هـو الإسـلام ديـنُ العلـم والعمـل والدَّعـوة والجـد، لا جهـل فيـه ولا كسـل، ولا تـوان فيـه عـن الدعـوة للخيـر والعمـل، فـلا يعيـش مجتمـع بـلا تعاليـم دينـه، ولا تقـوم دولـة بـدون شـريعة الإسـلام، ومـن أراد نـزع الإسـلام عـن بعـض المجتمعـات الإسـلامية فإنمـا ينـزع الـروح عـن الجسـد، وأي حيـاة تـرجى مـن أجسـاد لا روح فيهـا، فالإسـلام روح المجتمعـات هـو الـذي طوَّرهـا، ونمَّاهـا، وقوَّاهـا، فـأيُّ مجتمـع يقـوم علـى إبعـاد الدِّيـن عـن حياتـه فهـو مجتمـع منهـار لا تـدوم لـه حيـاة.

فديننـا الإسـلامي لـو اعتـنى بـه الأسـتاذ في مدرسـته، والعميـد في جامعتـه، والإمـام في مسـجده، والأب والأم في بيتهمـا؛ لصَنعـت لنـا هـذه المـدارس، والجامعـات، والمسـاجد، والبيـوت رجـالًا أقويـاء في عقيدتهـم، متينيـن في خلقهـم، عظمـاء في بطولاتهـم، أفـذاذًا في اسـتقامتهم، مفلحيـن في قيادتهـم، رجـالًا بإمكانهـم أن يجمـع بيـن صـدق أبي بكـر، وعـدل عمـر، ونبـل عثمـان، وبسـالة علـي، وفروسـية خالـد، وحنكـة عمـرو، وحلـم معاويـة، وإقـدام ابـن الزبيـر رضي الله عنهم.

ولصنـع لنـا الإسـلام نسـاء يصنعـن الرجـال، ويقمـن بدورهـنَّ في بيوتهـن، ومجالاتهـنَّ المختصـة بهـنَّ، نسـاءً كعائشـة أم المؤمنيـن في علمهـا وبذلهـا للصدقـات، أو كزينـب أم المؤمنيـن في حبِّهـا للمسـاكين، أو كخديجـة أم المؤمنيـن في نصرتهـا للحـقِّ، أو كأسـماء بنـت أبي بكـر في صبرهـا علـى شـؤون بيتهـا رضي الله عنهن.

هـذا هـو الإسـلام كنـور شـمس سـطع علـى الأرض فأنارهـا وأحياهـا، فأجلـى الله بـه الظـلام، وأزال بـه الضـلال.

فالإسـلام الحـقُّ كلبـن خالـص سـائغ خـرج مـن بيـن فـرْث تطـرف العلمانيـة المتسـاهلة، ودم تطـرف الإخوانيـة التكفيريـة والداعشـية الغاليـة.

لـم يعبـث بعقـول الخلـق، ولـم يلبـس علـى النـاس الحقائـق، ولـم يـزرع في نفوسـهم الانفـلات والتَّمـرد والتَّسـاهل كالعلمانيـة، ولـم يفسـد المجتمعـات بالتكفيـر، والتفجيـر، والثـورات، والتَّدميـر كالإخوانيـة والدواعـش.

قـال الشـيخ أحمـد آل مبـارك رحمه الله: «إن ذلـك شـأن ديننـا الحنيـف فـإذا أردنـا ردَّ سـهام الأعـداء في نحورهـم، وإحبـاط مفترياتهـم ومكائدهـم؛ فلنستمسـك بـه اعتقـادًا وعمـلًا، ولْنقيمـه في مجتمعنـا كمـا أقامـه سـلفنا الصالـح، وفي الحديـث المـروي: «لا يصلـح آخـر هـذه الأمـة إلا بمـا صلـح أولهـا» [1]، ولنحـذر فـتن أعـداء الإسـلام ودسـائسـهم ومفترياتهـم، وليكـن القـرآن إمامنـا وقدوتنـا، وسـنن الرسـول ﷺ دليلنـا وحجتنـا» [2].

وبهذا تختم دروس فضل الإسلام، فالحمد لله على التمام.

---

(١) حديث مروي عن مالك بن أنس، لا عن رسول الله ﷺ.

(٢) خطب منبرية (٢٢).

@BaynootnanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net